

الفصل السادس

- 1- النبي أيوب .
- 2- النبي إبراهيم.
- 3- الإيمان الحقيقي.
- 4- هاجر وإسماعيل.
- 5- إسماعيل وإسحاق.
- 6- المزود.

1- أيوب النبي

بعد بلبله الألسن التي حدثت في بابل، مضت عدة أجيال قبل أن يسجل الكتاب المقدس تدخل العناية الإلهية مرة أخرى في التاريخ. وعبر كل هذه السنوات الماضية، لم ينس الرب وعده بإرسال المخلص. ورغم أن الغالبية العظمى من الناس قد عاشت دون الإيمان بالله، إلا أن كل جيل كان يذكر هؤلاء الذين آمنوا بوعوده. وكان إبرام وساراي زوجان قد آمنوا بهذه الوعود. وكانت ساراي عقيمة، ولم يكن لها أولاد .

سفر التكوين 11: 30

انظر إلى الشجرة التالية التي تمثل جيل إبراهيم

نوح
يافت حام سام
ارفاخاد شيلاح ايبر بيليع
رثيو سروخ ناحور تيراح
إبرام (إبراهيم)
ساراي(سارة)
اسحق

2- إبراهيم النبي

ولد إبرام في العراق، في مدينة أور مسقط رأسه، التي تقع إلى الجنوب من بابل. واتبع إبرام تعليمات الرب وغادر بيته وانتقل إلى حاران. وهنا تكلم الله إليه مرة ثانية.

وقال الرب لإبرام انطلق من أرضك... إلى الأرض التي اريك... فأنطلق إبرام كما قال له الرب... وكان إبرام ابن خمس وسبعين سنة حين خرج من حاران.

سفر التكوين 12: 1، 4

وكان هذا الانتقال بالنسبة لإبرام مهمة صعبة، إذ لم تتوفر في ذلك الوقت وسائل الاتصال والمعلومات التي تتوفر لنا اليوم، كالخرائط وشركات السياحة والسفر أو شبكة المعلومات الالكترونية التي تزودنا بسهولة بالمعلومات الوافية عن طرق السفر. لم يكن يعرف إلى أين يذهب! لم يخبره الله. وبعد أن بدأ السفر، كان يثق بان الله سيرشده إلى الطريق يوما بيوم. وكان المكان الذي يقصده دون أن يعرف هو ارض كنعان، التي تسمى فلسطين اليوم. وخرجوا ليمضوا إلى ارض كنعان. فبنى هناك مذبحا للرب الذي ظهر له.

سفر التكوين 12: 5، 7

أمن إبرام أن الله سيخلصه من نتائج الخطيئة، فقدم ذبيحة الدم على المذبح كفارة لتغطية خطيئته. ورغم أن تقدمه الحيوانات كانت وسيلة من أجل إزالة الخطيئة فقط، فقد كانت ذبيحة إبراهيم، دليلا واضحا على أنه قد أدرك الحاجة إلى بديل ليدفع عقوبة الموت عنه. كان يثق بالله تماما مثلما فعل هابيل ونوح، وكل الأشخاص الأبرار الآخرين الذين عاشوا في العصور الماضية.

عاش إبرام حياة شبة بدوية، وكان يطلق عليه السكان المحليون اسم "العبراني"، وهي كلمة تحمل معنى المتجول، أي الشخص الذي يأتي من بعيد. وأمضى إبرام وقتا طويلا في بلدة في المنطقة التي حل فيها، فأخذت البلدة اسم حبرون. ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم كان يتم الإشارة إلى إبرام ونسله بالعبرانيين (1).

أربعة مواعيد:

أعطى الله إبرام أيضا أربعة مواعيد محددة:

1- سأجعل منك امة عظيمة(2)...

2- سأجعل اسمك عظيما(3)...

3- أبارك مباركك وشاتمك اللعنة... (4)

4- ويتبارك بك جميع عشائر الأرض

سفر التكوين 12: 2، 3

عندما يبارك الله فانه يمنح فضله وحسناته، وعندما يوجه اللعنة فانه يجلب الحظ التمس.

كان وعد الله لأول إبراهيم خيرا عظيما. فلكي يصبح امة عظيمة، كان عليه أن يكون أبا لأطفال. ولما لم يكن لديه نسل، لان سارة قد تخطت سن الإنجاب، أصيب بالحيرة حول كيفية إتمام هذا الوعد. ولكن الله أعطى وعدا، ويجب أن يتحقق هذا الوعد.

وكان الوعد الأخير مرتبطا بالأول، وإشارة مباشرة للمخلص. كان الله يقول لإبرام، أن واحدا من نسله سيكون هو الممسوح، وبركة لكل إنسان. ويقول الكتاب المقدس إن إبراهيم قد آمن بالله وفرح لفكرة رؤية يوم وصول المخلص (5).

بعد كل هذه الأمور، كان كلام الرب إلى إبراهيم في الرؤيا قائلا : لا تخف اللهم يا رب ما تعطيني وأنا منصرف عقيم...؟ ثم أخرجه الله إلى الخارج وقال له انظر إلى السماء وأحص الكواكب إن استطعت أن تحصيها. وقال له هكذا يكون نسلك. فأمن بالرب فحسب له ذلك برا.
سفر التكوين: 15: 6، 5، 2، 1

إن الجملة الأخيرة تحمل معان كثيرة. سننظر إلى ثلاث كلمات فيها تحمل هذه المعاني، وهي "برا"، "حسب"، "أمن". وتحمل الكلمة الأخيرة أهمية خاصة، ولهذا سأخصص لها قسما كاملا؟

البر

رأينا سابقا أن كلمة البر تستعمل للإشارة إلى كمال الله، أي أن الله مقدس ونقي ومنزه وبلا عيب وبدون أي شائبة.

حسب

تحمل هذه الكلمة فكرة تسديد حساب نقدي من خلال الدفع. ويوجد لهذا المصطلح استعمال مألوف في عالم المال اليوم. نحسب أن نرى المال يضاف إلى حسابنا المصرفي، لأنه يظهر بأننا الطرف المستلم! ولكن ماذا يعني الكتاب المقدس عندما يقول:
فأمن بالرب فحسب له ذلك برا؟

سفر التكوين 15: 6

هل تتذكر "شهادة الدين" التي يحصل عليها كل إنسان نتيجة الخطيئة؟ حسنا، كان إبراهيم يحمل شهادة مثلها أيضا. وبما أن إبراهيم قد آمن بوعود الله، فقد وضع الله رصييدا في حسابيه، وأعطاه البر. ويشبه ذلك قول الله: "يا إبراهيم، بما أنك تثق بي، فأنتي سأدفع عن خطيئتك مقدما، واضع كمال لي لصالحك. وعليك أن تفهم الآن أن بري يزيد كثيرا عن حال خطيئتك. وما أعطيك إياه يعادل أكثر من جميع خطاياك. تستطيع أن تعتبر خطيئتك مدفوعة، وأن البر الذي أعطيك إياه، لن يتدبر أمر خطيئتك فقط، وإنما سوف يمنحك كل الكمال الذي تحتاج إليه لتعيش معي في السماء."

ويقول الكتاب المقدس أن إبراهيم كان يثق بأن الله يحفظ كلمته حتى انه...

كان يتطلع إلى المدينة بأساساتها، والتي مهندسها وبانيها هو الله

الرسالة إلى العبرانيين 11: 10

ورغم أن جسد إبراهيم سيموت في النهاية، فانه لن يختبر العقوبة المخيفة المرتبطة بالموت الثاني. لقد عرف انه سيعيش مع الله إلى الأبد في السماء.

طرحنا في السابق السؤال التالي الذي يمثل وجهين لعملة واحدة: "كيف نستطيع أن نتخلص من خطيئتنا، وان نكتسب برا يساوي بر الله، وان يتم قبولنا في حضرته؟" وكان الجواب بسيطا بالنسبة لإبرام: ثق بالرب وآمن بوعده وهو يمنحك ما تريد.

3- الإيمان الحقيقي

يمكن أن يساء فهم الكلمة الثالثة "إيمان" بسهولة كبيرة، ولهذا يجب علينا أن نفهم بعض المعاني المرتبطة بها كما تظهر في كلمة الله:

- إن الكلمات والمعاني المرتبطة بالاعتقاد والإيمان والثقة والأمانة، غالبا ما تستعمل بشكل متبادل، كما يلي:

أمن إبراهيم بالرب
وضع إبراهيم إيمانه بالرب
أمن بما قاله الله
كان له إيمان بكلمته

وثق إبراهيم بالرب
كان لإبراهيم ثقة بالرب
عرف بأن الله جدير بالثقة
كانت ثقته بالله وحده

يبنى الإيمان الصحيح على الواقع والحقيقة وليس على المشاعر. وعندما تجلس على كرسي من الخشب، تكون لديك الثقة بأنه سيملك، وأنت لا تجلس عليه لوجود علاقة شعورية أو عاطفة طاغية بينك وبينه. وتدرك أن الكرسي حقيقي، ولذلك فانك تسند نفسك عليه. وقد استند إيمان إبراهيم على حقيقة وعد الله. كانت هذه قضية حسابية بسيطة، تتمثل كما يلي:

قال الله : سيكون لك ابن
-إن الله عظيم لأنه يستطيع عمل أي شيء
سيكون لإبراهيم ابنا
-لا يتعلق الأمر بمقدار إيمانك (6) وإنما فيمن تضع ثقته. يمكن أن يكون إيمان إبراهيم قد تذبذب في بعض الأحيان، ولكن ثقته بالله كانت راسخة.
-إن الإيمان الحقيقي بالكتاب المقدس لا يتوقف عند الموافقة الذهنية على الحقائق، والا فلن يكون إيماناً حقيقياً.

يمكن توضيح الإيمان بالطريقة الآتية:

يقف صديقان في احد المنتزهات . يسأل احدهما الآخر: هل تعتقد بأن عربة القطار هذه ستصدم في مكانها على هذه السكة المتعرجة؟" ويجيب الآخر:" طبعاً اعتقد ذلك." فيقول الصديق الأول "حسناً، دعنا نركبها". لكن الصديق الثاني كان متردداً، وبدأ في خلق الأعذار، لكي لا يشارك في هذه المتعة، فقد كان هناك شك في حقيقة إيمانه. ورغم انه يقول نعم، فهو يشك في ذلك في نفسه.

يمكن أن تسبب عربات القطار سوء الظن، ويمكن أن تكون هنالك أسباب جيدة أخرى لعدم ركوبيها، ولكن النقطة الأساسية هي: إن الإيمان واليقين يؤثران في أعمالنا.

تجاوز إيمان إبراهيم الموافقة، وقام بالمجازفة بحياته وسمعته وأعماله من اجل إيمانه. ولأنه آمن، كان مطيعاً لله وسافر إلى ارض غريبة، وقدم القرابين، واثقاً بأن الله سيخلصه من نتائج الخطيئة. ويجب أن نفهم في الوقت نفسه، بأن طاعة إبراهيم لم تكن محاولة لكي يبرهن لله أو للآخرين عن صدق إيمانه، وإنما لأنه كان يثق بالله. كانت النتيجة الطبيعية انه فعل ما أراده الله أن يفعله. وعندما نقرأ الكلمات "آمن إبراهيم بالرب..." يجب أن نفكر في مغزى ذلك كله.

وكلما تعمقنا بالدراسة، ندرك المزيد من الحقائق، ونكتشف بصورة أوضح كيف يصبح الإيمان عاملاً مرتبطاً بدفع الخطيئة - دين الإنسان. ويكفي أن نعرف الآن بأن الله يكرم الذين يؤمنون به.

4- -هاجر وإسماعيل

انقضت السنوات، وإبراهيم وساراي بدون أبناء، فقرر ا أخذ الأمور بأيديهما. ووفق الطريقة المقبولة اجتماعياً في التعامل مع العم، أخذت ساراي عديتها هاجر وأعطتها لإبراهيم. وولد له منها ابناً أسمياه إسماعيل. وأصبح لإبراهيم نسلاً حقيقياً حياً، يمكنه من الوفاء بوعد الله. كانت هنالك مشكلة واحدة. لقد قاما بتحقيق ذلك بطريقتهم وليس بطريقة الله. وعندما بلغ إبراهيم من العمر تسع وتسعين سنة، ظهر له الرب وقال له :
أنا الله القدير اسلك أمامي وكن كاملاً. ولا يكون اسمك إبراهيم بعد بل يكون اسمك إبراهيم لأني جعلتك أباً لجمهور من الأمم.

سفر التكوين 17: 1، 5

ولم تعد هناك مشكلة لإبراهيم الآن مع ما يقوله الله، إذ أصبح لديه نسلاً. لقد أعطته هاجر ابناً - إسماعيل!
وقال الله لإبراهيم ساراي امرأتك لا تسمها ساراي بل سمها سارة. وأنا أباركها وأعطيك منها ابناً وأباركها وتكون أما وملوك وشعوب منها يكونون.

سفر التكوين 17: 15، 16

لم تكن هذه الأخبار جيدة. لماذا يذكر الله سارة دائماً؟ الم يعلم الله بوجود هاجر؟ كان لإبراهيم ابناً وهو إسماعيل! إلا يمكن أن يأتي المخلص الموعود من خلاله؟ لماذا يجب أن يكون المخلص الموعود به من سارة؟ فقد كانت امرأة كبيرة في السن! ويستحيل عليها الأمر!

فسقط إبراهيم على وجهه وضحك، وقال في نفسه، ألابن مئة سنة يولد أم سارة وهي ابنة تسعين سنة تلد. فقال إبراهيم لله لو إن إسماعيل يحيا بين يديك.

سفر التكوين 17: 17، 18

أشار إبراهيم إلى الله بأن إسماعيل كان مرشحا. فقال الله بل سارة امرأتك ستلد لك أبناء وتسميه اسحق، وأقيم عهدي معه، عهدا مؤبدا لنسله من بعده. وأما إسماعيل فقد سمعت قولك فيه وهانذا أباركه وأتميه وأكثره جدا جدا، وولد اثني عشر رئيسا واجعله أمة عظيمة. غير أن عهدي أقيمه مع اسحق الذي تلده لك سارة في مثل هذا الوقت من قابل.

سفر التكوين 17: 19-21

وهكذا كان الأمر، ستحصل سارة على الطفل الموعود خلال سنة، وقد أعطى الله الطفل اسم اسحق. ولم ينس الله إسماعيل أيضاً. وسوف نقرأ المزيد عنهما لاحقاً.

ثلاثة زوار

انتظر إبراهيم وسارة، وظهر الله في الوقت المحدد مرة ثانية، على شكل رجل يصحبه ملاكان ظهرا أيضاً على شكل البشر.

الرب: ابن امرأتك سارة؟

إبراهيم: هي في الخباء

الرب: سأرجع إليك في مثل هذا الوقت من قابل ويكون لسارة امرأتك ابن.

وكانت سارة تسمع عند باب الخباء وهو وراءه. وكان إبراهيم وسارة كبيرين وطاعنين في السن، وقد امتنع أن يكون لسارة كما للنساء. فضحكت سارة في نفسها قائلة: أبعد فنائي يكون لي تتعم وسيدي قد شاخ الرب (لإبراهيم): ما بال سارة قد ضحكت قائلة أيقينا ألد وقد شخت. أهذا على الرب بأمر عسير. في مثل هذا الوقت من قابل أعود إليك ويكون لسارة ابن. سارة: ... كانت خائفة فجدت وقالت: لم اضحك. الرب: لا بل ضحكت.

سفر التكوين 18: 9-15

لا بد أن الأمر كان وحيا لسارة، فقد عرفت بأن الله قد قرأ أفكارها وهو العالم بكل شيء. حاولت أن تتكر بأنها قد ضحكت، ولكن ذلك لا ينطلي على الله. فقد قال: لا بل ضحكت. إن الله يجعل الشخص مسؤولاً عن أعماله. آمن إبراهيم وسارة بأن الله سوف يحفظ وعده، ومر إيمانها كما شاهدنا بارتفاع وهبوط، وكان هناك صراع مع الشك في بعض الأحيان. ولكن الشيء المدهش عن الله انه كما يقول: يكرم الإيمان ولو كان بحجم حبة الخردل (6). إن حبوب الخردل صغيرة جدا. ليست القضية في مقدار الإيمان الذي لديك، وإنما في من تؤمن. كان إبراهيم وسارة يتقنان بالله.

5- إسماعيل واسحق

وانتقد الرب سارة كما قال ، وفعل الرب لسارة كما وعد. فحملت سارة ولدت لإبراهيم ابناً في شيخوخته في الوقت الذي حدده الله. فسمي إبراهيم ابنه المولود له الذي ولدته له سارة اسحق.

سفر التكوين 21: 1-3

حافظ الله على وعده لإبراهيم وسارة حتى في شيخوختهما، لأنه يحفظ كلمته دائماً ، ويسر بعمل المستحيل. وأصبح لإبراهيم الآن ابنان: اسحق من سارة، وإسماعيل من هاجر. ورغم أن لهذا الشيخ أولاد آخرين، فان اسحق وإسماعيل هما اللذان نعرف الشيء الأكثر عنهما.

وعندما بلغ إسماعيل ستة عشر سنة تقريباً، كان اسحق في سن الثانية فقط، حصل حادث غير حياة إسماعيل... وتاريخ العالم.

ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم ساخرا.

سفر التكوين 21: 9

كان إسماعيل يسخر من اسحق، فلم يفهم إسماعيل عندما كان في السادسة عشرة من عمره، ولم يقدر خطة الله في أن يجعل اسحق أب أمة عظيمة سيخرج منها الأنبياء، والكتاب المقدس، والمخلص نفسه في النهاية. لم تتقبل سارة سخرية إسماعيل لابنها.

فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الأمة وابنها فان ابن هذه الأمة لا يرث مع ابني اسحق. فساء هذا الكلام جدا في عيني إبراهيم من جهة ابنه.

سفر التكوين 21: 10-11

ورغم أن الله قد قال بأن المخلص الموعود سوف يأتي من اسحق، فإن هذا الأمر لا يقلل من حقيقة أن إسماعيل كان لا يزال ابناً لإبراهيم. كان هناك حب الأب الواضح لابنه. وأصبح إبراهيم واقفاً بين غيرة الحماية لامرأته ومحبة لابنه. فقال الله لإبراهيم لا يسوء في عينيك أمر الصبي وأمر أمك. كل ما تقوله لك سارة، فاسمع لقولها لأنه بإسحق يدعى لك نسل. وابن الأمة أيضاً اجعله أمة فانه نسلك.

سفر التكوين 21: 12-13

وبمعنى آخر كان الله يقول لإبراهيم بأن يعطي هاجر حريتها. ففكر إبراهيم في الغداة واخذ خبزاً وقربة ماء فدفعهما إلى هاجر وجعلهما على منكبها، وأعطاهما الصبي وصرفها، فمضت وتاهت في بركة بئر سبع. ونفذ الماء من القربة، فطرح الصبي تحت بعض الشجر. ومضت فجلست تجاهه بعيداً قدر رمية قوس لأنها قالت لا أرى موت الصبي. فجلست تجاهه ورفع صوتها وبكت.

سفر التكوين 21: 14-16

تستطيع أن تتخيل يأس هاجر. كانت تفعل أفضل ما بوسعها للعناية بابنها دون مساعدة أو مكان تقيم فيه. وفي وسط تآهاتها نسيت أن الله قد اهتم بها وبابنها:

وسمع الله صوت الغلام فنأدى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: ما لك يا هاجر لا تخافي فإن الله قد سمع صوت الغلام حيث هو. قومي فخذ الغلام، ولتكن يدك معه، فاني جاعله أمة كبيرة. وكشف الله عن عينها فرأت بئر ماء، فمضت وملأت القربة ماء وسقت الغلام. وكان الله مع الغلام، حتى كبر فأقام بالبرية وكان رامياً بالقوس، وأقام ببرية فاران واتخذت له امرأة من أرض مصر.

سفر التكوين 21: 17-20

يقول الكتاب المقدس بأن الله كان مع إسماعيل حتى كبر وبلغ سن الرجولة. ورغم أن الله سيرسل المخلص عن طريق اسحق، فقد أراد الله أن يبارك إسماعيل أيضاً. يريد الرب أن يكون إليها لجميع الناس، يستطيع كل فرد الوصول إليه إذا اقترب منه بطريقة الله.

ومثلما وعد الله، أصبح إسماعيل أمة كبيرة. ويعود أصل العديد من الشعوب العربية مباشرة إليه.
وأقام ببرية فاران واتخذت له امرأة من أرض مصر

سفر التكوين 21: 21

6- المزود

في الكتاب المقدس قصة تشير إلى حادثة في حياة إبراهيم لم ينسأها أبداً:

وكان بعد هذه الأمور أن امتحن الله إبراهيم. فقال له: يا إبراهيم! قال: لبيك. قال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه اسحق، وامض إلى أرض موريه واصعده عنده محرقة على احد الجبال الذي اريك. ففكر إبراهيم من الغداة وأكف حماره واخذ معه غلامين واسحق ابنه وشقق حطباً لمحرقه، وقام ومضى إلى الموضع الذي أشار له الله إليه. وفي اليوم الثالث رفع إبراهيم طرفه، فأبصر الموقع من بعيد. فقال إبراهيم لغلاميه امكثا ههنا مع الحمارة، وأنا والغلام نمضي إلى هناك فنسجد ونرجع إليكما. واخذ إبراهيم حطب المحرقة، وجعله على ابنه، واخذ بيده النار والسكين، وذهباً كلاهما معاً. فكلم اسحق إبراهيم أباه وقال يا أبت. قال لبيك يا بني. قال هذه هي النار والحطب، فأين الحمل للمحرقة. فقال إبراهيم الله يرى له الحمل للمحرقة يا بني. ومضيا كلاهما معاً. فلما أفضيا إلى الموضع الذي أشار الله إليه، بنى إبراهيم المذبح هناك ونضد الحطب وأوثق اسحق ابنه وألقاه على المذبح فوق الحطب. ومد إبراهيم يده فأخذ السكين ليذبح ابنه. فناداه ملاك الرب من السماء قائلاً: إبراهيم.. إبراهيم. قال ها أنذا. قال لا تمد يدك إلى الغلام، ولا تفعل به شيئاً، فاني الآن عرفت أنك متق لله، فلم تذخر ابنك وحيدك عني. فرفع إبراهيم طرفه ونظر، فإذا بكبش وراءه، معتقل بقرنية في الحداد. فعمد إبراهيم إلى الكبش وأخذه واصعده محرقة بدل ابنه. وسمى إبراهيم ذلك الموضع "الرب يرى" ولذلك يقال اليوم جبل الرب يرى. ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء. وقال بنفسه أقسمت يقول الرب، بما أنك فعلت هذا الأمر، ولم تذخر ابنك وحيدك، لا باركتك وأكثر نسلك كنجوم السماء، والرمال الذي على شاطئ البحر، ويرث نسلك باب أعدائه. ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض. أنك سمعت لقولي.

سفر التكوين 22: 1-18

إن هذه قصة مؤثرة للغاية، تظهر للوهلة الأولى إن الله يؤيد التضحية بالطفل! ولكن علينا أن ننظر إلى ما هو أبعد من ذلك.

هذا ابنك

طلب الله من إبراهيم أن يأخذ ابنه ويضحي به على مذبح، وإن يعده للموت. ولم يكن هذا طلبا عشوائيا. عندما تشير كلمة الله إلى هذا الابن بالابن الوحيد لإبراهيم، لا يعني ذلك انه لم يكن لإبراهيم نسلا آخر، وإنما كان الرب يركز الانتباه على أن المسيح عليه السلام سوف ينحدر من ابن إبراهيم، الطفل الذي انتظره لفترة طويلة. ولم يكن اسحق أيضا الابن الذي وعد الله بأنه سيكون أباً لأحفاد لا يحصون، وإنما كان هو الابن الذي سوف يأتي منه المخلص. كان الرب واضحا حول هذا الأمر، وأن ابنا ميتا لا يكون له نسل!

لا شك أن طلب الله قد سبب الحيرة لإبراهيم. ويحتمل أن يكون إبراهيم قد شاهد القرابين البشرية التي تقدمها الأمم الأخرى في عصره، وعرف بأن تقديمها كان شكلا مألوفاً لتهدئة آلهتهم. ولكن الأمر الذي وجهه الله لإبراهيم كان يخالف كل ما عرفه إبراهيم عن الخالق. وعد الله اسحق بنسل كثير، وهذا الوعد السابق من الله لا ينسجم مع أمره الراهن. ولكن إبراهيم كان يؤمن بأن الرب جدير بالثقة بشكل كامل، وفعل تماما كما طلب منه الله. واستدعى ابنه وأسرج حمار العائلة وأخذ المستلزمات لعمل الذبيحة، وانطلق لينفذ ما أمره الله. ولا بد أن قلبه كان يتمزق من الحزن والكرب! أظهرت طاعته إيمانه المطلق بصلاح الله وجهدا كبيرا من طرفه.

لم يترك لنا الكتاب المقدس مجالا نعرف من خلاله الطريقة التي كان يفكر بها إبراهيم، وإنما يخبرنا أنه قد تمسك بوعد الله، وكان يؤمن بأنه لو ضحى بإسحق، فإن الرب سيحييه من بين الأموات.

والإيمان لما امتحنه الرب فقد قدم إبراهيم إسحاق كتضحية.... وعلل إبراهيم ذلك بأن الله يمكنه أن يقيم الموتى... ويرجع اسحق من الموت.

الرسالة إلى العبرانيين 11: 17، 19

يقول الكتاب المقدس أن الله كان يمتحن إيمان إبراهيم، وسنعرف السبب في الصفحات التالية. وظهر هذا الامتحان لنا ثقة إبراهيم الحقيقية بالرب.

وانطلق إبراهيم وابنه ومعهما شابان آخران إلى جبال موريا. وعندما اقترب الجميع من المكان، ذهب إبراهيم مع ابنه منفردين، وكان الابن يحمل الحطب. وسأل اسحق أباه في الطريق: أين الحمل؟ وكان اسحق بدون شك قد شهد في الماضي تقديم الأضاحي، وكان الأمر لا يتطلب الحصول على معرفة كبيرة، لكي يدرك بأن احد العناصر الأساسية للتضحية كان مفقودا - وهو الذبيحة نفسها:

هذه النار والحطب فأين الحمل للمحرقة؟

سفر التكوين 22: 7

لا يستطيع المرء إلا أن يتساءل: هل كان اسحق يفكر بطرق التضحية بالأطفال في الديانات الأخرى. كان لديه ثقة كبيرة بالله، وعندما أجاب أبوه بأن الله سيوفر الحمل، استمر يسير معه برضي. ويقول الكتاب المقدس بأنهما ذهبا معا.

موثق

فلما أفضيا إلى الموضع الذي أشار له الله إليه، بنى إبراهيم هناك المذبح ونضد الحطب وأوثق اسحق ابنه وألقاه على المذبح فوق الحطب.

سفر التكوين 22: 9

لم يكن ابن إبراهيم طفلا، فقد كانت كلمة "غلام" في اللغة العبرية تستعمل للإشارة إلى الذكور الصغار حتى سن الخدمة العسكرية. وكان كبيرا بما فيه الكفاية لكي يبدأ عراكا، إضافة إلى أن إبراهيم لم يكن شابا صغيرا. ولا يوجد دليل على حدوث إي مقاومة. والواضح أن الابن قد خضع لإرادة أبيه، وهذا عمل أظهر ثقة ضمنية في والده الذي عرف بأنه يتبع كلمة الله.

وعندما ربط اسحق على المذبح، كان دون حول ولا قوة، وكان تحت أمر الله المباشر والمحدد لكي يذبح. لم تتوفر لديه أي وسيلة يستطيع من خلالها إنقاذ نفسه. ويقول الكتاب المقدس بأن إبراهيم مد يده وأخذ السكين. تستطيع أن ترى يد الرجل المسن وهي ترتجف، وفكاه يرتحيان، وقلبه على وشك أن ينكسر. هذا هو ابنه! إن الشعور في هذه اللحظة رهيب. وترتفع الذراع المرتجفة بيضاء، ويلمع معدن السكين البارد في ضوء النهار الداكن، ونية صادقة تدفعه إلى القيام بالعمل.. ثم... يتدخل الله. ونادى ملاك الرب إبراهيم من السماء وقال...

لا تمدد يدك إلى الغلام، ولا تفعل به شيئا، فاني الآن عرفت أنك متق لله فلم تذخر ابنك وحيدك عني.

سفر التكوين 22: 12

لا بد أن الدموع قد سالت بغزارة. تستطيع أن ترى الأب يبكي بمرارة. لقد تدخل الله، وأزال حكم الموت! زال حكم الموت عن الابن على الأقل، ولكن لا يزال هنالك موت.

بديل

يقول الكتاب المقدس أن الله قدم حيوانا.

فرجع إبراهيم طرفه ونظر فإذا كبش وراءه معتقل بقرنية في الجدد.

سفر التكوين 22: 13

ولأن الكبش كان مربوطا بهذه الطريقة، فإنه لم يبذل الجهد لكي يحرر نفسه.
فعمد إبراهيم إلى الكبش واصعده محرقة بدل ابنه

سفر التكوين 22: 13

حسنا، لقد كان هنالك ذبح، وذبح الكبش بدلا من اسحق. وأصبح ابن إبراهيم حرا لان كبشا مات عنه. لقد وفر الله له بديلا. وترك هذا الحادث أثرا كبيرا في نفس إبراهيم وفكره، فأطلق اسمه على الجبل، لكي يتذكر الناس عظمة الله.
وسمي إبراهيم ذلك الموضع "الله يرى" ولذلك يقال اليوم جبل الرب يرى.

سفر التكوين 22: 14

وجد إبراهيم أن الله حق...

فخلص في وقت الضيق.

ارميا 14: 8

وتنتهي القصة بتأكيد وعد الله لإبراهيم، سيكون نسله كبيرا - كل شعب يعقوب. وتضمن هذا الوعد أن المسيح عليه السلام سيكون احد أحفاد إبراهيم واسحق. وسيكون بركة لجميع الناس:
أقسمت بنفسى يقول الرب... يتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من اجل انك سمعت لقولي.

سفر التكوين 22: 16، 18

كان طلب الله من إبراهيم أن يضحى بابنه، طلبا فريدا في حياته وفي تاريخ الإنسانية. لقد أراد الله أن يوصل إلينا جميعا بعض الحقائق، وليس إلى إبراهيم فقط، وتتعلق هذه الحقائق بالحكم والإيمان والخلاص من خلال البديل أو التضحية.

وكما خضع اسحق لأمر الله المباشر بالموت، تخضع الإنسانية كلها لحكم الموت (7). لم يستطع ابن إبراهيم أن يخلص نفسه. ولكن ثقة أبيه بالله وإيمانه، دفعاه إلى الاعتقاد بأن الله المحب سيفعل شيئا. وتدخل الله بالفعل، ووفر طريقة للهروب من خلال البديل... حياة مقابل حياة... والبريء يموت بدلا عن المذنب.

وكما قدم هابيل ضحية لكي تموت بدلا منه، ذبح الكبش بدل اسحق. ومثلما نظر الله إلى ذبيحة هابيل بأنها مقبولة، رأى الله أن يوفر كبشا بدلا من اسحق ليكون ضحية مقبولة. كانت الفكرة لله، وكان الإنسان مؤمنا بأن كلمة الله حقة.

الفصل السابع

- 1- يعقوب ويهوذا
- 2- موسى النبي
- 3- فرعون والعبور

1- يعقوب ويهوذا

ثم فاضت روح إبراهيم ومات شيخا صالحا بعد عمر طويل، وانضم إلى قومه. فدفنه اسحق وإسماعيل ابناه في مغارة المكفيلة في حقل عفرون بن صوفر الحثي تجاه ممر، في الحقل الذي اشتراه إبراهيم من بني حث. هناك قبر إبراهيم وزوجته سارة.

سفر التكوين 25: 8-10

ماذا سيحدث الآن بعد موت إبراهيم؟ أصبح نسل إسماعيل كما قال الله يضم أمماً كثيرة. وجدد الله وعده مع إسحاق، واخبره بأنه سيصبح أباً لأمة يأتي منها المخلص. وعاش كل من اسحق وإسماعيل حياة طويلة ثم توفيا. انظر الشجرة التالية:

إبراهيم وسارة --- اسحق --- عيسو

2000 قبل الميلاد ويعقوب (1) - 1900 قبل الميلاد

رأوبين

سمعان

لاوي

يهوذا

نتالي

دان

جاد

أشير

اسنيحار

عيسو

زبولون

يوسف

بنيامين

يعقوب

كان لإسحق ابنان: عيسو ويعقوب. كان الأول مثل قابيل يعيش حياته كما يريد ويعمل ما يريد. في حين كان الثاني يؤمن بالله، واعتبره الله باراً. وكان يعقوب يتوجه غالباً إلى الله ويقدم ذبائح الدم على المذبح. وبنى يعقوب مذبحاً هناك... لأن الله تجلى له هناك

سفر التكوين 35: 6، 7

وَأَمَّن يَعْقُوبُ بِالْمَبَادِي الْمَوْجُودَةِ فِي كَلِمَةِ اللَّهِ:

بدون سفك الدماء لن يكون هناك غفران.

الرسالة إلى العبرانيين 9: 22

لأن نفس الجسد هي في الدم ولذلك جعلته لكم على المذبح ليكفر به عن نفوسكم لأن الدم يكفر عن النفس.

سفر اللاويين 17: 11

ورغم فشل يعقوب تقريباً في حياته، فقد كان الله مركز ثقته. وتغير اسمه لاحقاً إلى إسرائيل الذي يعني الله يسيطر. وجدد الله مع يعقوب نفس الوعد الذي قطعه مع إبراهيم واسحق. قال له الرب: أنا الرب اله إبراهيم أبيك واله اسحق... ويتبارك بك جميع قبائل الأرض وينسلك.

سفر التكوين 28: 13، 14

وقال الله له إن احد أحفاده سيكون بركة لجميع الأمم، إشارة إلى المخلص الموعود الذي سيأتي.

كان ليعقوب اثنا عشر ابناً انحدرت منهم الأسباط الإثني عشر! وقد اخبر قبل موته ابنه يهوذا، بأن المخلص

سيأتي من سبطه.

مصر

عاش إبراهيم واسحق ويعقوب حياة شبه بدوية في ارض كنعان. وفي السنوات الأخيرة من حياة يعقوب، ضربت المجاعة البلاد، فانتقل هو وأولاده وعائلاتهم إلى مصر. وكان عددهم في ذلك الوقت سبعون نفساً فقط. استقبلتهم مصر وعاملتهم حسناً. وكان احد أبناء يعقوب الإثني عشر - وهو يوسف - قد اخذ عبداً إلى مصر قبل سنوات من ذلك، ومن خلال استغلاله الحكيم لمواهبه وعناية الله به، أصبح مسئولاً لا يستغني فرعون مصر عنه. ولهذا

السبب كان فرعون يميل إلى عائلة يوسف ويفضلها، فقدم لهم أرضاً في دلتا النيل الغنية في منطقة تسمى غوشن، واستقروا هنالك حتى تنتهي المجاعة. وبعد ثلاثمائة وخمسين سنة كانوا لا يزالون في مصر، وبلغ عددهم في ذلك الوقت مليونين ونصف المليون. أصبح أحفاد إبراهيم واسحق ويعقوب بالفعل أمة كبيرة.

2- موسى

لا يستطيع المرء أن ينسى مليونين ونصف من أحفاد يعقوب في مصر. وقد جاء الملك المصري (الفرعون) بفكرة. قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف. فقال لشعبه إن شعب بني إسرائيل أكثر وأعظم منا. تعالوا نحال عليهم كيلا يكثر، فإذا وقعت حرب ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويخرجون من الأرض. فأقاموا عليهم وكلاء تسخير لكي يتعبوهم بأثقالهم. فبنوا لفرعون مدينتين خزن وهما فيتوم ورعمسيس. غير أنهم كانوا كلما أدلوهم ينمون ويمتدون حتى تخوفوا من قبل بني إسرائيل. فاستخدم المصريون بني إسرائيل بقسوة. ونغصوا حياتهم بخدمة شاقة بالطين واللبن وسائر أعمال الأرض، وجميع خدمتهم الذين استخدموهم كانت بقسوة.

سفر الخروج 1: 8-11، 12-14

ولكن الله لم ينس مواعيده. ويقول الكتاب المقدس ...

فسمع الله أنينهم وذكر عهده مع إبراهيم واسحق ويعقوب. ونظر الله إلى بني إسرائيل وعرفهم.

سفر الخروج 2: 24، 25

كان الله يخطط من أجل خلاص بني إبراهيم من عبوديتهم. وكان الرجل الذي اختاره الله في ذلك المكان، يدعى موسى. ولد موسى في مصر لأبوين تحدرتا من إبراهيم واسحق ويعقوب. وكان موسى عند مولده محكوما عليه بالموت، ولكنه أنقذ بفضل العناية الإلهية وتربي في بيت فرعون، واستطاع الوصول إلى أفضل تعليم في أرض مصر. وعندما أصبح بالغاً، قتل موسى رجلاً مصرياً وهو يدافع عن إسرائيلي، فهرب ناجياً بحياته إلى الصحراء، حيث أصبح راعياً لمدة أربعين سنة، تعلم فيها رعي الخراف. وكان هذا تخطيط من قبل الله.

فساق موسى الغنم إلى ما وراء البرية حتى أفضى إلى جبل الله حوريب. فتجلى له ملاك الرب في لهيب نار من وسط العليقة، فنظر فإذا العليقة تتوقد بالنار وهي لا تحترق.

سفر الخروج 2: 23 إلى 3: 1-2

لا يستطيع المرء إلا أن يتصور موسى وهو يحرق في العليقة لبعض الوقت. لا بد أنه كان في حيرة. ما الذي يحدث هنا؟ ألن تكون زوجته مسرورة إذا سمعت عن هذا الأمر. حطب يحترق ولكنه لا يستهلك، وسوف يكون وقوداً رائعاً لموقد مطبخها:

فقال موسى أميل وانظر هذا المنظر العظيم. ما بال العليقة لا تحترق. ورأى الرب أنه قد مال لينظر، فناداه الله من وسط العليقة وقال موسى، موسى..

سفر الخروج 3: 3، 4

ولا شيء أغرب من شجرة تتكلم! يستطيع المرء أن يتخيل موسى ينظر حوله وهو يتصبب عرقاً، ويأمل بأن لا يكون هناك من يستمع. كيف سيبدو وهو يتحدث مع عليقة؟! وقال موسى: هاأنذا

قال: لا تدن إلى هنا، اخلع نعليك من رجلك، فإن الموضع الذي أنت قائم فيه أرض مقدسة. وقال أنا اله أبيك اله إبراهيم واله اسحق واله يعقوب.

سفر الخروج 3: 4-6

لا بد أن الدم قد تجمد في شرايين موسى. لقد عرف الكثير عن الله السرمدى المتعالي. عرف أن الله كان الخالق والمالك لكل شيء، هو الله الحي. عرف إن الرب الإله القدوس قد فصل نفسه عن أبناء البشر بسبب خطيئتهم. وكان موسى نفسه خاطئاً وقاتلاً.

فستر موسى وجهه إذ خاف أن ينظر إلى الله. فقال الرب إنني قد نظرت إلى مذلة شعبي بمصر، وسمعت صراخهم من قبل مسخريهم وعلمت بكرههم...

فالآن تعال أبعثك إلى فرعون، وأخرج شعبي بني إسرائيل من مصر.

سفر الخروج 3: 6، 7، 10

لا بد أن موسى قد تهدد بارتياح. لم يأت الله ليدين خطيئته، وإنما ليكلفه بمهمة. وكانت هنالك معضلة، لأن موسى كان راعياً، وكانت المهمة التي كلف بها صعبة. لن يضع الناس ثقتهم برجل تكلم مع عليقة. وقال موسى لله:

أنا سائر إلى بني إسرائيل فأقول لهم، اله آباؤكم بعثني إليكم. فان قالوا لي ما اسمه فماذا أقول لهم؟ فقال الله لموسى أنا هو الكائن. وقال كذا قل لبني إسرائيل الكائن أرسلني إليكم.

سفر الخروج 3: 1، 3، 14

ويعني الكائن الشخص الموجود ذاتيا، الله الموجود بقوته.

هذا اسمي إلى الدهر وهذا ذكري من جيل فجيل. امض واجمع شيوخ إسرائيل، وقل لهم الرب اله آباؤكم تجلى لي، اله إبراهيم واسحق. ويعقوب وقال أنني قد افتقدتكم وما صنع بكم في مصر، فقلت أنني أخرجكم من مذلة المصريين إلى... ارض تدر لبنا وعسلا.

وسوف يسمع لك شيوخ بني إسرائيل

سفر الخروج 3: 15-18

ورغم أن موسى كان يخشى من العواقب، إلا انه كان يعلم أيضا أن الله إذا قطع وعدا، حافظ عليه دائما. فجمع موسى أمتعه وقفل راجعا إلى مصر، إلى فرعون وعبيد بني إسرائيل. ولقي في الطريق أخاه هارون الذي أرسله الله ليكون الناطق بلسانه.

وجمع موسى وهارون جميع شيوخ بني إسرائيل، واخبرهم هارون بكل شيء قاله الرب لموسى: فأمن الشعب. ولذا سمعوا أن الرب قد افتقد بني إسرائيل ونظر إلى مذلتهم، خروا وسجدوا.

سفر الخروج 4: 29، 30، 31

لقد تم الأمر تماما بالطريقة التي قال الله انه سيتم بها. آمن الشعب وسجدوا للرب. كان الله يحفظ وعده.

3- فرعون والعبور

كان الأمر الوحيد الذي يسعى إليه موسى وهارون، هو إقناع قادة بني إسرائيل أن الله قد تكلم، ولكن الجهد الكبير في إقناع فرعون بالفكرة، أثار عددا كبيرا من المشاكل المزعجة.

وبعد ذلك دخل موسى وهارون إلى فرعون وقالوا: كذا قال الرب اله إسرائيل، أطلق شعبي... فقال فرعون: من هو الرب فاسمع لقوله وأطلق بني إسرائيل؟ لا اعرف الرب ولن أطلق بني إسرائيل.

الخروج 5: 1، 2

حسنا، لقد كان فرعون على صواب في أمر واحد- وهو انه لم يعرف الرب. كانت مصر تكرم عددا من الآلهة، مثل اله الشمس واله العواصف ونهر النيل، وكان فرعون نفسه إلهها. وكان يرمز لكل اله برمز مختلف: العقاب، والضفدع، والعقرب، وهكذا. وعبد المصريون القدماء الخليفة بدلا من الخالق. ولم يكن فرعون جاهلا بالإله الحقيقي الوحيد، وإنما كان يرفض فكرة أن يعرف عن ذلك. وكانت عبادة الخالق بالنسبة له تعني خسارة كبيرة في القوة والمكانة، وسيكون لإطلاق بني إسرائيل أثارا سيئة على الاقتصاد، وخسارة كبيرة للعمل المجاني. كان فرعون يعارض هذه الفكرة بشدة. فقال الرب لموسى سترى الآن ماذا سأصنع بفرعون...

وسأدخلكم الأرض التي رفعت يدي مقسما أن أعطيها لإبراهيم واسحق ويعقوب، فأعطيها لكم ميراثا. أنا الرب.

سفر الخروج 6: 7، 8

شعب الله

قال الله أن بني إسرائيل سيصبحون شعبه، ولا يعني هذا أن شعب إسرائيل يمكنه أن يتبع الإله الحقيقي فقط، وإنما أراد الرب أن يجعل الأمر سهلا للأمم المختلفة في الأرض. أن يعرفوا تماما ماذا كان الله، وكيف كانت علاقته بالإنسان. وكل ما كان على العالم أن يقوم به، هو أن ينظر إلى أمة واحدة، وسيرى الناس من خلالها درسا حيا، كاملا وحقيقيا، كيف تعامل الله مع البشرية. وسوف نرى لاحقا كيف قام بني يعقوب بهذا الدور المحدد.

قال الله انه سينزل الضربات بمصر لكي يخلص إسرائيل، وسيعلم الأمتين من خلال ذلك شيئا عن نفسه.

الدرس الذي سيتعلمه بني إسرائيل...

وتعلمون أنني أنا الرب المخرج لكم من تحت أقال المصريين.

سفر الخروج 6: 7

الدرس الذي سيتعلمه المصريون...

ويعلم المصريون أنني أنا الرب، إذ مددت يدي على المصريين أخرجت بني إسرائيل من بينهم.

سفر الخروج 7: 5

كان الله يريد أن يعلم كلا من الأمتين الدرس نفسه: انه هو الله وحده ولا اله غيره. ولكن فرعون لم يرغب في أن تكون له صلة مع موسى وهارون. وهكذا قال لهما الله:

فامض إلى فرعون بالغداة فانه يخرج إلى الماء، فقف للقاؤه على شاطئ النهر... وقل له، الرب اله العبرانيين بعثني إليك قائلاً أطلق شعبي... وأنت إلى الآن لم تسمع. كذا قال الرب: بهذا تعلم أنني أنا الرب ها أنا... أضرب ماء النيل فينقلب دماً. ويموت السمك في النهر، فينتن النهر ويعاف المصريون ماء النهر أن يشربوه.

سفر الخروج 7: 15-18

وهذا ما حدث تماماً. فقد ضرب الله صميم الديانة المصرية القديمة، عندما جعل احد ألهتهم وهو نهر النيل ينقلب دماً. وجعل النهر كريها لهم! ولكن...

فتصلب قلب فرعون ولم يسمع إلى موسى وهرون... ولم يوجه قلبه إلى هذه أيضاً.

سفر الخروج 7: 22، 23

الله مقابل آلهة

وهكذا بدأت دورة. يحذر الله فرعون لكي يطلق بني إسرائيل، ويقول فرعون كلا، فيجلب الله الضربات. وتستهدف كل ضربة إلهاً آخر من آلهة المصريين.

انقلب نهر النيل أولاً إلى دم

ثم أرسل الله بلاء الضفادع - في كل ثقب وشق

في الطعام والبيوت - في كل مكان

وتبع هذا موجات عدوانية من البعوض (2)

وحل الذباب محل البعوض

ثم ضرب الوباء الماشية، فماتت جميعها

وتألم الناس من ظهور البثور المتقيحة

ثم دمرت عاصفة هائلة من البرد محاصيلهم

والتهمت جحافل الجراد ما تركه البرد

وضرب الله أخيراً الإله الحقيقي، الإله المزيف، الشمس، بلعنة الظلام الذي كان كثيفاً جداً وشعر به الجميع.

وكانت الضربات التي أنزلها الله في مجملها عشر ضربات، وستأتي الضربة الأخيرة الأكثر تدميراً فيما بعد. وكلم الله

موسى وهارون:

وقال الرب لموسى: بقيت ضربة واحدة أنزلها على فرعون والمصريين وبعدها يطلقكم من ههنا، وعند إطلاقه

لكم جملة، يطردكم من ههنا طرداً.

كذا قال الرب: أنني نحو نصف الليل اجتاز في وسط مصر، فيموت كل بكر في ارض مصر من بكر فرعون الجالس

على عرشه، إلى بكر الأمة التي وراء الرحي...

سفر الخروج 11: 4، 5، 1

وكانت الضربة الأخيرة في الحقيقة هي الضربة الأسوأ التي حلت بالمصريين وبني إسرائيل على السواء، إذا لم يتبعوا

تعليمات الله. إن الله عادل، وينفذ الحكم على الخطيئة، ولكنه إله محب أيضاً يمنح برحمة طريقاً للهرب. لم يعد الأمر

يرتبط بالمصريين أو ببني إسرائيل، فعندما يتعلق الأمر بعدالة الله أو محبته، فإنهما يتساويان في حضرته. ورغم أن

كليهما يستطيعان اختبار محبة الله، فإنهما سيختبران حكم الله إذا لم يستمعا. وقال الله:

خذوا حملاً...

وكلم الرب موسى وهرون في ارض مصر... في العاشر من هذا الشهر يتخذ كل واحد حملاً بحسب بيوت الآباء،

لكل بيت حملاً.

سفر الخروج 12: 1، 3

كان الله يطلب حملاً ذكراً كاملاً بلا عيب، يجب أن لا يكون مشوهاً أو معطوباً بأية طريقة:

حمل صحيح ذكر حولي يكون لكم من الضأن أو المعز تأخذونه.

سفر الخروج 12: 5

انبحوا الحمل في الوقت المحدد:

ويكون عندكم محفوظاً إلى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر فيذبحه كل جمهور جماعة إسرائيل بين الغروبين.

سفر الخروج 12: 7

ابقوا داخل البيوت حتى الصباح:

لا يخرج احد منكم من باب منزله إلى الغداة.

سفر الخروج 12: 22

لا تكسروا العظام:

في بيت واحد يؤكل، لا تخرج من البيت من اللحم شئنا إلى خارج وعظما لا تكسر منه
سفر الخروج 12: 46

سأجتاز

وأنا أجتاز في ارض مصر في تلك الليلة، واقتل كل بكر في ارض مصر من الناس والبهائم وبجميع آلهة المصريين اصنع أحكاما أنا الرب. فيكون الدم لكم علامة على البيوت التي انتم فيها، فأرى الدم واعبر عنكم، ولا تحل بكم ضربة هلاك إذا ضربت ارض مصر.

سفر الخروج 12: 12، 13

عندما جاء الله في الحكم ليقتل الأبنكار، اجتاز عن كل بيت وضع عليه الدم، سواء كان البيت إسرائيلياً أم مصرياً. كان الدم على الأبواب دليلاً خارجياً بأن سكان ذلك البيت يتقون بالله ويؤمنون بكلمته.

اعتبر

تستطيع أن تتخيل الذي سيحدث إذا حكم رجل نفسه قائلاً: أن قتل أفضل حمل هو أمر سخيف، لدي خروف كبير السن ومكسح، وهذا سيكفي.

أو إذا نادى احد الناس على أصدقائه، قائلاً: مرحباً يا أصحاب، إنها ليلة جميلة، دعنا نحتفل في الخارج. هل سيعلق الله الحكم ويجتاز ببساطة؟ كلا بطبيعة الحال. قد يفعل الناس ذلك بنية حسنة، ولكنهم في الوقت نفسه لا يتبعون تعليمات الله. إنهم يفعلون ما يفكرون به، كما فعل قابيل وغيره من الناس في زمن نوح. سيحكم الرب عليهم مع المصريين، لأنهم رفضوا أن يتقوا به. سوف يحصلون تماماً على ما استحقوه.

ومن ناحية أخرى، لو سمع احد المصريين أن الله سينزل ضربة أخيرة؟ واكتشف بعد تفكير أن الآلهة التي يؤمن بها كاذبة، وان بني إسرائيل يعبدون الإله الحقيقي الوحيد، وأراد أن يكون هذا الإله هو إله الذي يعبده. ماذا يطلب الرب منه؟ هل سيجتاز الله عن بيت ذلك المصري الذي وضع إيمانه في الله واتبع تعليمات الفصح... في تلك الليلة؟ هل كان سينجو من العقاب؟ نعم، سينجو لأنه آمن بالرب بطريقة الله. وسيقبل الله إيمانه ويمده بالنعمة والرحمة.

فلما كان منتصف الليل، ضرب الرب كل بكر في جميع ارض مصر، من بكر فرعون الجالس على عرشه، إلى بكر الأسير الذي في السجن، وجميع أبنكار البهائم. فقام فرعون ليلاً هو وجميع عبيده وسائر المصريين، وكان صراخ عظيم في مصر، حيث لم يكن بيت إلا وفيه ميت. فدعا موسى وهرود ليلاً وقال قوما فاخرجوا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل، وامضوا واعبدوا الرب كما قلتم. وغنمكم وبقركم أيضاً خذوها كما قلتم وامضوا وباركوني أيضاً. وألح المصريون على الشعب ليعجلوا إطلاقهم من الأرض، لأنهم قالوا قد متنا بأجمعنا. وفي ذلك اليوم عينه اخرج الرب بني إسرائيل من ارض مصر بجيوشهم.

سفر الخروج 12: 29-33، 51

يحفظ الله كلمته

كان الله رحيماً مع فرعون عندما أعطاه رسالة واضحة من خلال النبي موسى. وفر له فرصاً كثيرة لإطلاق سراح بني إسرائيل، وعندما استمر فرعون في الرفض، أدان الله المصريين تماماً كما قال بأنه سيفعل. إن الله ليس مثلنا. يمكن أن نهذب بتأديب أولادنا ولكننا لا نتابع الأمر غالباً. إن الله يحفظ كلمته دائماً.

وفي المقابل، اختبر بني إسرائيل لطف الرب لأنهم آمنوا به. وعندما جاء ليدين، وحيثما رأى الدم، اجتاز عنهم. لقد عاش الأبنكار لأن حملاً قد مات فقط. لقد كان الأمر على هذه الطريقة منذ البداية. لقد قبل الله ذبيحة هابيل كدفعة موت بدلاً منه. وعندما قدم إبراهيم ابنه ذبيحة، مات الكيش مكان الغلام. ومات الحمل الآن في الفصح مكان البكر.

كانت الذبائح البديلة أقوالاً مرئية تعبر عن ثقة كل شخص بالله والمخلص. ولأنهم آمنوا بالرب فقد أطاعوه.

وأصبح هذا العيد عيداً تقليدياً لبني إسرائيل، يذكرهم بخلصهم من العبودية في كل سنة يأكلوا فيها الفصح.

ويكون هذا اليوم لكم ذكراً فتعيدونه عيداً للرب، تعيدونه مدى أجيالكم - فريضة أبدية.

سفر الخروج 12: 14

ولا يزال العديد من أحفاد إبراهيم وإسماعيل حتى هذا اليوم، يضعون دم الذبيحة على أبواب وجدران بيوتهم، علامة لحماية الله لهم من الشر. ولا نعرف إذا كان اصل هذا التقليد يعود إلى تذكر المرء لطريقة خلاصه من دينونة الله، بإتباعه هذه التعليمات أم لا. والذي نعرفه أن الله اظهر رحمته الكبيرة لكل الذين آمنوا وقدموا ذبيحة الدم.

وهكذا تم تحرير بني إسرائيل من عبوديتهم وإخراجهم من الأرض على يد أسيادهم السابقين. لقد حفظ الله وعده - وحصل الأمر تماماً كما قال انه سيحصل.

الفصل الثامن

- 1- الخبز والسلوى والماء.
- 2- الوصايا العشر.
- 3- المحكمة.

1- الخبز والسلوى والماء

لم يكن بنو إسرائيل في حالة منظمة عندما انطلقوا في رحلتهم الطويلة. اضطرهم المصريون إلى المغادرة بصورة سريعة، فلم يحملوا معهم إلا الثمين. لم يكن لديهم الوقت الكافي لحزم أمتعتهم بطريقة جيدة، فغادروا مسرعين وساقوا ماشيتهم أمامهم. وفي مثل هذه الظروف التي يبلغ فيها عدد المغادرين 2 مليون تقريبا، تكون الفوضى كبيرة! كان موسى يقودهم، ولم يكن بإمكانه أن يقول أو يصرخ لمثل هذه الجموع الكثيرة "إلى هذه الطريق"؟ لم يكن بإمكان أفضل المراقبين والفضوليين أن يجدوا موسى بين هذه الجموع! لكن الله حل المأزق. وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود من غمام ليهديهم الطريق، وليلا في عمود من نار ليضيء لهم، لكي يسيروا نهارا وليلا.

سفر الخروج 13: 21

واستطاع الجميع نتيجة وجود منارة على الطريق من تنظيم أنفسهم في الحال. وكل ما كان عليهم أن يفعلوه هو النظر إلى الأمام وإتباع الغمام، وهم واثقون بأن الله يهديهم. واستطاعوا السفر ليلا بفضل عمود النار الذي أقامه الله أمامهم. وكان هذا الأمر وسيلة للسيطرة على هذا الجمهور الكبير الضخم! وكانت قبائل الصحراء تسكن على الطريق الذي يصل مباشرة بين مصر وارض كنعان، وكان القسم الأكبر منها قادرا على الدفاع عن نفسه في المعارك. وقد أخذت هذه القبائل بالاستعداد للدفاع عن نفسها، عندما شعرت بوجود ما يقرب من 2 شخص يسيرون باتجاههم. ولكن... ..لم يسيرهم الرب في طريق ارض الفلسطينيين مع انه قريب، لان الله قال: لعل الشعب يندم، إذا رأى حربا، فيرجع إلى مصر. فأدار الله الشعب في طريق برية بحر القصب.

سفر الخروج 13: 17، 18

كان الله يراقب بني إسرائيل، فقادهم إلى برية سيناء (1)، التي كانت خالية من السكان تقريبا. وكانت هذه الأرض الخربة المهجورة خالية من الأعداء، وفيها طعام قليل جدا، فظهر تدمر شديد من قبل الشعب. ...فتدمرت جماعة بني إسرائيل كلها على موسى وهارون في البرية. وقال لهما بنو إسرائيل: ليتنا متنا بيد الرب في ارض مصر، حيث كنا نجلس عند قدر اللحم ونأكل من الطعام شعبنا، في حين إنكما أخرجتمانا إلى هذه البرية، لتميتنا هذا الجمهور كله بالجوع.

سفر الخروج 16: 2، 3

تدمر الشعب، وأراد الكثيرون منهم الرجوع إلى العبودية. كان موقفهم الساخر هذا من تدبير الله محزنا، لان الرب اظهر عناية وحراسة لهم، ولم يكن على وشك التخلي عنهم. كان عليهم أن يطلبوا الطعام من الله، لأنه أراد أن يكون مدبرهم. ولكنهم تدمروا.

الخبز والسلوى

فكلم الرب موسى قائلا: إني قد سمعت تدمر بني إسرائيل، فكلمهم قائلا: بين الغروبين تأكلون لحما، وفي الغداة تشبعون خبزا، وتعلمون أي أنا الرب إلهكم. فلما كان المساء، صعدت السلوى فغطت المحلة، والغداة كان سقيط الندى حوالي المحلة. ولما ارتفع سقيط الندى، إذا على وجه البرية شيء دقيق، مكث كالجليد على الأرض. فلما رآه بنو إسرائيل، قال بعضهم لبعض: "من هو"، لأنهم لم يعلموا ما هو. فقال لهم موسى: "هو الخبز الذي أعطاكم إياه الرب مأكلا".

سفر الخروج 16: 11-15

وفر الله لهم الخبز واللحم، وما كان عليهم أن يعملوا للحصول على هذا الطعام. وكان الخبز متوفرا في كل يوم لكي يجمعه، وكان يجب تكبيرهم كل يوم: أن الله هو الرازق. ولا بد إنهم شعروا بالإحراج، لأنهم تدمروا أول الأمر. كان الله يعلم بني إسرائيل درسا آخر.

درس بسيط

كان للخبز غرض أعظم من كونه طعاما. قال الله...

... بهذه الطريقة امتحنهم، أيسلكون في شريعتي أم لا؟

سفر الخروج 16: 4

أمر الله موسى أن يخبر الشعب بأن يجمعوا من الخبز بمقدار ما يمكن أن يأكلوه في يوم واحد. وهذا أمر

سهل:

فلم يسمعوا لموسى، وأبقى منه أناس إلى الغداة، فدب فيه الدود وانتن، فسخط عليهم موسى.

سفر الخروج 16: 20

كان الدرس بسيطا، ولم يصب احد بأذى، ولكن الشعب تعلم من خلال هذه التجربة إن الرب يعني ما يقول، وكان عليهم أن يتقوا به. كان العصيان محفوفا بالمخاطر.

التذمر

ثم ارتحل كل جماعة بني إسرائيل من بركة سين مرحلة مرحلة على حسب أمر الرب ونزلوا رفيديم. ولم يكن ماء ليشرّب الشعب. فخاصم الشعب موسى وقالوا: أعطونا ماء نشربه، فقال لهم موسى: لم تخاصموني، ولم تجربون الرب؟ وعطش هناك الشعب إلى الماء، وتذمروا على موسى وقالوا: لم أصعدتنا من مصر؟ ألتقتلنا وبنينا ومواسينا بالعطش؟ فصرخ موسى إلى الرب قائلا: ما اصنع بهؤلاء الشعب؟ أنهم عن قليل يرجمونني.

سفر الخروج 17: 1-4

كان يمكن الاستفادة بصورة كبيرة من الأخطاء الماضية، ولكن الشعب عاد إلى التذمر والغضب، وكان الأمر يتعلق بالماء هذه المرة. لم يكن بنو إسرائيل يمثلون بصورة جيدة "شعب الله".

فقال له الرب مر أمام الشعب، وخذ معك من شيوخ إسرائيل وعصاك التي ضربت بها النهر... ها أنا قائم أمامك هناك على الصخرة في حوريب، فاضرب الصخرة فانه يخرج منها ماء فيشرّب الشعب. فصنع موسى كذلك على مشهد شيوخ إسرائيل.

سفر الخروج 17: 5، 6

الماء

نشاهد في بعض المناسبات لوحات فنية تمثل هذه المعجزة. يصور موسى واقفا فوق صخرة ممسكا بعصاه، وسيل صغير من الماء ينساب على الأرض بالحجم الذي تتوقعه من حنفية ماء صغيرة. وفي حقيقة الأمر، لا بد أن الماء الذي اندفع كان قويا جدا. فقد كان هناك جمهور كبير من الناس يشعر بالعطش، وعدد كبير من قطعان الماشية. ولم يكن الماء الذي اندفع سيلا صغيرا، وإنما فيضانا قويا! ويقول الكتاب المقدس:

سفر المزمير 105: 41

زود الرب الشعب باحتياجاته مرة ثانية، رغم انه لا يستحق ذلك. وكان يستطيع أن يستعمل القوة بصفته خالقهم ومالكهم، وان يأمرهم بالتصرف الحسن والاستقامة. ولكن الله كان لطيفا وحليما، اظهر لهم رأفته ولطفه لم يستحقوه. لا يستحق الإنسان الخاطيء محبة الله الرعوفة، ولكن الله يعتني به رغم خطيئته.

–الوصايا العشر

قال الرب: كان على بني إسرائيل أن يكونوا مثلا لبقية الشعوب في علاقة الله بالإنسان وعلاقة الإنسان بالله. ولكنهم كانوا بحاجة إلى معرفة المزيد عن الرب. كانت إرادة الله في كشف ذاته مستمرة، وكان الكشف الرئيسي الآتي عن شخصيته على وشك أن يحدث.

وفي الشهر الثالث لخروج بني إسرائيل من ارض مصر، في ذلك اليوم جاءوا بركة سيناء. رحلوا من رفيديم وجاءوا بركة سيناء فنزلوا في البرية. هناك نزل إسرائيل تلقاء الجبل. وصعد موسى إلى الله فناداه الرب من الجبل قائلا: كذا تقول لآل يعقوب وتخبر بني إسرائيل. قد رأيتم ما صنعت بالمصريين وكيف حملتكم على أجنحة النسور وأتيت بكم إلي. والآن إن امتثلتم أوامري وحفظتم عهدي، فإنكم تكونون لي خاصة من جميع الشعوب، لان جميع الأرض لي وانتم تكونون لي مملكة أعبار وشعبا مقدسا. هذا هو الكلام الذي تقوله لبني إسرائيل.

سفر الخروج 19: 1-6

إذا... عندئذ

كان الله يقول بعبارات بسيطة: "إذا أطعتموني فأنتي سأقبلكم وتكونون شهادة عني لجميع الأمم الأخرى". وكان الشرط الوحيد وعبارة السر الكبيرة: "إذا أطعتموني، عندئذ..."

كان سجل بني إسرائيل حتى الآن سيئا. لقد جمعوا في الصحراء خيزا أكثر مما احتاجوا إليه، حتى عندما اخبرهم الرب بوضوح أن لا يفعلوا ذلك. وتذمروا بدلا من أن يتقوا. وكانت الاستجابة الأمينة لكلمات الله تبدو

كالتالي: "يا رب، لقد فشلنا في إتباع كلمتك. أنت قدوس ونحن خطاة. إذا كنت تنتظر إلينا كما تنتظر إلى الكهنة البارين - وتريد أن تقبلنا على أساس طاعتك - فإننا نواجه مشكلة كبيرة!"

لا مشكلة

وعندما جمع الناس معا وسألهم كيف كان شعورهم إزاء إعلان الله، رد الشعب بحماس ودون اعتراض: كل ما تكلم به الرب نعمل به. وهكذا احضر موسى جوابهم إلى الرب. لقد رددوا جميعا بقلوب صادقة: "نؤكد لك يا رب، إن كل شيء تطلبه منا هو حسن، سنكون كهنة مخلصين، وإن القداسة ليست مشكلة أيضاً. سنكون أفضل أمة مقدسة رأيتها. نستطيع أن نكون كذلك!" ربما كان في ذلك شيء من المبالغة، ولكنك تدرك الفكرة دون شك. كانت حقيقة الأمر أن الإنسان في هذا الوقت، لم يستطع فهم القداسة أو البر بصورة كاملة، وأراد الله أن يوضحها له بصورة كاملة.

وسائل مرئية

بدأ الدرس ببعض الوسائل المرئية:

وقال الرب لموسى امض إلى الشعب وقدسهم اليوم وغدا وليغسلوا ثيابهم. ويكونوا مستعدين لليوم الثالث، فانه في اليوم الثالث يهبط الرب أمام جميع الشعب على جبل سيناء.

سفر الخروج 19: 10-11

اخبر الله موسى أن يعلم أبناء الشعب أن يتكسروا أو ينفصلوا. واخبرهم الله أن يغسلوا ثيابهم. وقد ساعدتهم هذه الوسيلة العملية المرئية أن يدركوا ضرورة الابتعاد عن الخطيئة، لأنها لم تزل. واستطاع الفيلسوف والشاعر العظيم جلال الدين الرومي بعد عدة قرون، أن يدرك هذا المفهوم، فكتب: إن الصلاة المناسبة هي: "اغسلني يا رب. لقد غسلت يدي هذا الجزء مني، ولكن يدي لا تستطيع أن تغسل روعي. أنا أستطيع غسل هذا الجلد، ولكنك تستطيع أن تغسلني". أن تكون نظيفاً من الخارج لا يعني بالضرورة أن تكون طاهراً من الداخل. فالأيدي النظيفة لا تستطيع أن تخلق قلباً نقياً. إن غسل الثياب اظهر نظافة ونقاوة أمام الرب، إلا أن الغسيل في حد ذاته لم يظهرهم من الخطيئة. وساعدت هذه الأعمال الشعب على أن يدرك بأن الطهارة الروحية كانت جانباً مهماً من البر. لم ينه الله وسائله البصرية، فقال لموسى:

واجعل حداً للشعب من حواليه، وقل لهم احذروا من أن تصعدوا الجبل أو تمسوا طرفه فان كل من مس الجبل يقتل قتلاً.

سفر الخروج 19: 12

كان هذا الحد صورة واضحة للانفصال الموجود بين الله والإنسان بسبب الخطيئة. وحذر الإنسان بأن لا يقترب من الله لأنه قدوس، ولا يستطيع الإنسان الخاطئ أن يحيا بحضوره. وهذا تذكير بأن الموت هو نتيجة الخطيئة. وحدث في اليوم الثالث عند الصباح، إنها كانت أصوات بروق وغمام كثيف على الجبل، وصوت بوق شديد جداً، فارتعد جميع الشعب الذي في المحلة. فأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله، فوقفوا أسفل الجبل. وطور سيناء مدخناً كله، لأن الرب هبط عليه بالنار... ثم تكلم موسى والله يجيبه بالصوت.

سفر الخروج 19: 16-19

كانت وسائل الله المرئية الأخيرة مؤثرة بشكل مرعب - رعود وبروق وغمام كثيف، وصوت بوق شديد ودخان ونار. وارتجف جميع الشعب! كان الله يوصل فكرته إلى الناس. ولأن الإنسان خاطئ، فقد كان لديه ما يكفي من الأسباب لكي يرتجف في حضرة الله القدوس.

كان الإنسان في هذه الدقائق يقوم بخطوة كبيرة في معرفة طبيعة الله. كان الله على وشك أن يحدد ماذا يعنى بكلمة مقدس وكلمة بار، وكان الرب يقول:

لقد رأيتم بعيونكم أنني إله يهتم بكم. ولم افعل هذا من قبل أبداً - لم أضع الأشياء بوضوح كهذا أبداً - وإذا أطعتم القواعد العشر التي سأعطيك إياها، فعندئذ ستكونوا شعباً مقدساً - شعباً خاصاً بعلاقة خاصة وتخصوني أنا فقط. سوف تعرفون كيف تعيشون مع بعض في طريقة مسرة ومرتبطة. وسوف تتمكن جميع الشعوب والأمم الأخرى أن ترى تلك الحقيقة، وسوف يعرفون كيف يتبعونني. وهم أيضاً سوف يطيعونني ويكونون أبراراً (2). ثم تكلم الله:

الوصية الأولى

أنا الرب إلهك... لا يكن لك آلهة أخرى تجاهي

سفر الخروج 20: 2,3

كان الرب يقول للإنسان أن لا يعبد أحداً أو شيئاً آخر، وكان السبب المذكور واضحاً: أنا هو الرب، ولا يوجد آخر، وسواي لا يوجد اله

إشعياء 45: 5

يوجد اله واحد فقط من أجل أن يكرّم. وليست القضية مجرد ثقة بالله، إنها تتعلق بالله الحقيقي. يجب على الذين يريدون أن يكونوا أبراراً أن يعبدوا الرب فقط.

يشعر الناس بالراحة غالباً، لأنهم حفظوا هذه القاعدة، ولأنهم لا يعبدون إلهاً وثانياً. وإذا كانت العائلة أو الأصدقاء أو المرشدون الروحيون أو المكانة أو العمل أو المال أو الترفيه أو التقاعد أكثر أهمية بالنسبة لك من الله، فعندئذ تكون قد خالفت هذه الوصية.

الوصية الثانية

لا تصنع لك منحوتاً ولا صورة شيء مما في السماء من فوق، ولا مما في الأرض من أسفل، ولا مما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهم ولا تعبدهم...

سفر الخروج 20: 54-

جاء في الوصية الأولى: يجب أن لا نعبد إلهاً آخر. وجاء في الوصية الثانية أن الإنسان يجب أن لا يعبد صورة أو منحوتاً لأي اله، سواء كان حقيقياً أم كاذباً. ولا يريد الله من البشرية أن تتحني أمام الصور والأيقونات والتمائيل التي تمثلها. وبما أن الله روح فلا حاجة للإنسان أن يصنع صورة مادية له. إن التماثيل المصنوعة من قبل الإنسان ليست جديرة بالعبادة – إن الله الحقيقي فقط جدير بالعبادة.

أنا هو الرب، وهذا هو اسمي! سوف لا أعطي مجدي لآخر أو تسيحي للأصنام

إشعياء 8: 42

وأحدى متطلبات الله الأخرى للقداسة – لكي يتم قبولها من قبل الله الخالق – أن لا يعبد الإنسان أي تمثال أو صورة له أو لخليقته.

الوصية الثالثة

لا تحلف باسم الرب إلهك باطلاً لأن الرب لا يركي من يحلف باسمه باطلاً.

سفر الخروج 20: 7

يأمر الله الإنسان في الوصية الثالثة أن يحترمه دائماً. لأن الله ذو سيادة، واسمه يجب أن لا يستعمل بصورة خفية. يستحق الإكرام لأنه قاض لكل الأرض، وملك جدير بأقصى الإكرام. ولكي يكون المرء باراً عليه أيضاً أن يقدر الله السامي في العلو.

إذا استعملت اسم الله عند القسم تكون قد خالفت هذه القاعدة. إذا قلت في إحدى المرات أنك ستقوم بهذا العمل أو ذلك إن شاء الله! ولكنك لم تقصد أن تفعل ذلك، تكون قد أظهرت عدم الاحترام لاسم الله، وخالفت هذه الوصية. إذا قلت بالله لم افعل هذا أو ذلك من الأشياء، وكنت تعرف حقيقة أنك مذنب، تكون قد أسئت استعمال اسم الله.

الوصية الرابعة

اذكر يوم السبت لتقدسه. في ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك. واليوم السابع سببت للرب إلهك لا تصنع فيه عملاً....

سفر الخروج 20: 8-10

يقول الله لبني إسرائيل أن يذكروا اليوم السابع، أن يوم السبت هو يوم للراحة. وسيظهر هذا اليوم الخاص لبقية العالم، أن الله يقيم معهم علاقة مميزة. ويقول الكتاب المقدس: وأنت فمر بني إسرائيل وقل لهم سبوتني فاحفظوها، لأنها علامة بيني وبينكم مدى أجيالكم، لتعلموا أنني أنا الرب مقدسكم.

الخروج 31: 13

أراد الله من بني إسرائيل أن يعرفوا أنهم إذا أرادوا أن يكونوا مقدسين، يجب عليهم تقديس يوم السبت كعلامة خاصة تميزهم.

الوصية الخامسة أكرم أبك وأمك ...

الخروج 12: 20

يأمر الله في هذه الوصية الأبناء بإكرام والديهم. إن العائلة العادية يجب أن تكون مكانا للسلام وليس للخصام. يجب على الأبناء أن يحترموا ويطيعوا والديهم. ويفترض في هذا السياق أن يعتني الوالدان بمصالح العائلة بأفضل صورة. يقول الله لجميع الأبناء، إن القداسة تتطلب أن تكون لديهم علاقة مشرفة مع والديهم. أراد الرب أن تكون العائلة مكانا للنظام والاحترام وليس الفوضى والغضب. إن الإهمال والجدال والتجهم والمعاملة الصامتة والانتقاد، كلها طرق تشير إلى عدم الاحترام.

الوصية السادسة لا تقتل

سفر الخروج 13: 20

أعطى الله الحياة للإنسان، ومن الخطأ أن يقوم الإنسان بأخذ حياة أخرى. ويقصد الله شيئا أكثر من عمل القتل، أي النية والقصد في القتل أيضاً. يقول لنا الكتاب المقدس إن الله: مميز لأفكار القلب ونياته. وما من خليفة مستتره أمامه، بل كل شيء عار مكشوف الباطن لعينيه وله نودي الحساب. الرسالة إلى العبرانيين 4: 12، 13 ينظر الله إلى القلوب، ولهذا فإنه يفسر القتل على مستوى أشمل بكثير مما نفسره نحن. يعتبر الرب بعض أنواع الغضب جريمة قتل: قد سمعتم انه قيل للأولين لا تقتل فان من قتل يستوجب الدينونة. أما أنا فأقول لكم إن كل من غضب على أخيه يستوجب الدينونة... ومن قال يا أحمق يستوجب نار جهنم. متى 5: 21-22

الوصية السابعة لا تزن

الخروج 14: 20

يقول الله أن الوقت الوحيد الذي يسمح فيه بممارسة الجنس، ما بعد الزواج. والشخص الوحيد الذي يحق له مشاركتك تلك العلاقة الحميمة هو شريكك في الزواج. ويذهب الرب بعد ذلك خطوة أبعد، انه ينظر إلى القلوب، ويعرف متى يكون للمرء أفكاراً شريرة. قد سمعتم انه قيل للأولين لا تزن، أما أنا فأقول لكم إن كل من نظر إلى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبه. متى 5: 27، 28

إن النظر إلى شخص ما، لست متزوجاً منه، برغبة ممارسة الجنس معه، يعني أنك خالفت هذا القانون. أن تكون مقدساً يعني أن يكون لك عقل طاهر وأعمال طاهرة كذلك.

الوصية الثامنة لا تسرق

الخروج 15: 20

لا يريد الله من احد أن يأخذ ما يخص الآخرين. إن الله هو الذي يعطي كل شخص الحق في حياة الممتلكات. إن السرقة هي مخالفة لوصية الرب، والذي يسرق لا يمكن اعتباره باراً. وتتضمن السرقة الغش - سواء في امتحان أو في دفع الضرائب.

الوصية التاسعة لا تشهد بالزور ضد قريبك

سفر الخروج 20: 16

يجب أن يكون الإنسان أميناً دائماً، لأن الله لا يحب الخداع. ورأينا سابقاً ان الشيطان كاذب ومخادع بطبيعته. وان الله هو العكس المباشر لذلك، والصدق من طبيعته وفي جوهره بالذات :
الله، الذي لا يكذب ...

الرسالة إلى تيطس 2: 1

وعندما يقول الله لنا شيئاً، نستطيع أن نثق بأنه صدق لأنه ...
من المستحيل أن يكذب الله....

الرسالة إلى العبرانيين 6: 18

ولأن الله صادق، فإن الكذب بالنسبة له، صفة متحدية في الوجه. إن الشيطان مصدر الكذب، وكل من يكذب يكون تابعاً للشيطان. إن الثرثرة والاتهامات الباطلة والقذف والافتراء، كلها خطايا حسب ناموس الله.

الوصية العاشرة

لا تشته بيت قريبك. لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك

سفر الخروج 20: 17

يجب أن لا يحسد الإنسان ممتلكات الآخرين وقدراتهم ومظاهرهم وكل ما يخصهم.
قال الشيطان "سأكون مثل السامي الجلالة" اشتبهى مكانة الله. إن الإشتهاء والطمع والغيرة، هي خطايا غير مقبولة إطلاقاً للرب. إنها الطريق الذي سلكه الشيطان.
نصطدم في حياتنا الاجتماعية بمعايير هذا القانون في كل الوقت. انه شيء حساس جداً. يحرص الكثيرون على التقدم، ويرغبون في أن يكونوا مثل أقاربهم الناجحين. ويقال لنا إننا نستحق ذلك، وهذا يروق لكبريائنا، ولكنه خطيئة أخرى.

الآن أنا اعرف

وهكذا اختتمت الوصايا العشر، وجعلها الله مكتوبة على حجر للدلالة على أنها ناموس لا يتغير. وقد يقنع الإنسان نفسه على مر الأيام بأن العيش لا بأس فيه، ولكن الناموس سيقول أن هذا خطأ.
ويعرف الإنسان الآن ما الذي يعتبره الرب خطيئة. يقول الله في كلمته:
لكني ما عرفت الخطيئة إلا بالناموس، فاني لم اعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشتهه .

الرسالة إلى أهل روما 7: 7

وهناك أسئلة كثيرة أخرى. ولكننا نرى من خلال ما سبق، كم كان الله صارماً فيما يخص إتباع هذه الوصايا؟ ولكن، هل يجوز للإنسان أن يخالف إحدى هذه الوصايا في بعض الأحيان؟ ماذا يتوقع الله من الإنسان.

3- المحكمة

قد يظن البعض أن الوصايا العشر غامضة، إلا إذا عرف المرء كيف ومتى يتم تطبيقها. هل توجد استثناءات لها؟ لنفترض أن شخصاً ارتكب الزنا مرة في الماضي. هل سيسجل الله عليه ذلك للأبد؟ ماذا يتوقع المختصون بالشرع والقانون؟

يطلب الله منا أولاً أن نحفظ جميع الوصايا كل واحدة منها! لكي نكون مقبولين لديه:
واشهد أيضاً لكل من اختتن انه ملزم بأن يعمل بالناموس كله.

الرسالة إلى أهل غلاطية 5: 3

لا نستطيع اخذ أربع وصايا ونتجاهل الوصايا الباقية. إن الله دقيق جداً، ويطلب منا أن نلتزم بها جميعاً. ليس ذلك فقط وإنما يقول أيضاً:

لان من حفظ الناموس كله وعثر في أمر واحد فقد صار مجرماً في الكل

رسالة القديس يعقوب 2: 10

إذا خالفنا وصية واحدة فقط - فقط مرة واحدة - سيكون ذلك مثل مخالفة جميع الوصايا. لأننا لن نكون كاملين بعد ذلك، ولا يستطيع الله قبولنا في حضرته المقدسة.

إن الرب كامل في قداسته تماما، ويستطيع أن يقبل الكاملين في برهم فقط. يجب أن يساوي بر الإنسان بر الله، والا فلا مجال لكي يستعيد العلاقة مع الله. تشبه مخالفة الناموس قطع خيط فيه عشر عقد. عليك أن تقطع عقدة واحدة منها فقط، لكي ينقطع الخيط كله. ويكفي أن تخالف قانونا واحدا فقط لتكون مذنبا بمخالفة معيار الله في الصواب والخطأ. ليس علينا أن نحفظ الناموس كله فقط، وإنما يحاسبنا الله على جميع الخطايا، وحتى الخطيئة التي لا ندركها أو نعلم بها.

وأي إنسان خطئ ففعل شيئا مما نهى الرب عن فعله ولم يعلم بأنه قد أثم فقد حمل وزره

سفر الاخبار 5: 17

كنت في إحدى المناسبات اعلم هذا الموضوع لشباب وفتاة. وعندما وصلت إلى هذه النقطة في الدرس، ضرب الشاب بقبضته على الطاولة واقسم، (فأشارت إليه صديقته بأنه قد خالف إحدى وصايا الله بسوء استعماله لاسم الله... كان ذلك توقيتا سيئا!) فقال: "ليس الله عادلا! إذا كان هذا هو الطريق الوحيد التي سيتم من خلاله قبولي لديه، فانه قد جعل الأمر مستحيلا تماما. لا توجد طريقة أستطيع من خلالها أن احفظ تلك القائمة من الوصايا بشكل كامل!" لقد كان إبطاه واضحا جدا.

معرفة الخطيئة

عرف الله بأن الإنسان لا يستطيع أن يحفظ هذه القائمة من القوانين دون شائبة. لم يكن ذلك مفاجأة له. فقد كان قصده في إعطاء الوصايا العشر واضحا.

ونحن نعلم أن كل ما يقوله الناموس يقوله لأصحاب الناموس لكي يسد كل فم ويصبح العالم كله مجرما لدى الله

الرسالة لأهل روما 3: 19

تقول هذه الآية شينين:

1- إن الناموس يسد أفواه الذين يقولون أن حياتهم جيدة بما فيه الكفاية لكي يكونوا مقبولين من قبل الله. لا يستطيع احد أن يدرس هذه القوانين بشكل نزيه، دون أن يشعر بأنه خاطئ.

2- تظهر لنا الوصايا العشر بأننا نخالف الناموس بالفعل. كان الإنسان في البداية صديق الله، بريئا من كل شر. وعندما خالف آدم وحواء تعليمات الله، وضع الله جانبا رداء الصداقة وارتدى عباءة القاضي. كان قاضيا يستدعي الإنسان إلى مقعد قاعة المحكمة، ولم يتقدم أي محام للدفاع عنه. لم يستطع احد. لم يستطع أي محام بغض النظر عن قدرته، أن يجعل المحكمة تفكر بأن المحكوم عليه كان شيئا آخر غير انه مذنب. لم يكن هنالك شهود. ولا رشوة. ويتكلم القاضي الكامل ويصدر الحكم. كان الإنسان مذنبا بمخالفة ناموس الله:

إذ لا يبرر بأعمال الناموس احد من ذوي الجسد أمامه، لأنها بالناموس عرفت الخطيئة.

الرسالة إلى أهل روما 3: 20

إن هدف الوصايا العشر هو أن نشعر أو أن ندرك بأننا مذنبين. إنها تظهر لنا قداسة الله، ووجودنا في حالة الخطيئة. إنها معيار بسيط لما هو صواب وما هو خطأ. إن الوصايا العشرة تشبه مقياس الحرارة (الترمومتر) تظهر أننا مرضى، ولكنها لا تستطيع أن تجعلنا بصورة أفضل.

مرأة

إذا نظرنا إلى الموضوع من زوايا مختلفة، تظهر لنا الوصايا العشر مثل المرأة التي تعكس وجهها قذرا. إذا كنت وحيدا، لا تستطيع أن تدرك ما إذا كان وجهك نظيفا أم لا. يستطيع شخص آخر أن يشير إليك ويقول: "إن وجهك قذر". ولا تستطيع إنكار ذلك وتقول: "ليس الأمر كذلك- إنني لا أرى شيئا! ولكن إذا نظرت إلى المرأة، تستطيع أن ترى وجهك حقيقة مكسوا بالأوساخ، ولا تستطيع إنكار ذلك من بعد. سوف تصمت وتندرك بأن وجهك مكسو بالوسخ.

إن هذه الطريقة نفسها يمكن أن تطبق على الخطيئة. لم تكن نعلم ما هي الخطيئة، حتى أعطانا الله الناموس. ومثلما كشفت المرأة لنا عن الوسخ في وجوهنا، فإن الوصايا العشر تجعلنا ندرك ما هي الخطيئة.

لم تعط الوصايا العشر قائمة من القواعد التي يجب تطبيقها لكي نتصالح مع الله. لم يكن هذا هو هدف الناموس. وسيصبح الأمر مثل محاولة إزالة الوسخ عن وجهك بمرأة! إن المرايا مصممة لكي تعكس وليس لكي تتظف. وهناك احتمال كبير بتلوث الزجاج خلال محاولة تنظيف نفسك بالمرأة، وتعيق بذلك قدرتها على عكس

الصورة بصورة واضحة. إن الأشخاص الذين يحاولون الحصول على القبول عند الله من خلال حفظ الوصايا العشر، يحاولون تعديل الوصايا حتى لا يظهرون بصورة سيئة.

وجهة نظر الله

توجد طريقة أخرى للنظر في هذا الأمر. تذكر كيف قمنا بمقارنة نظرتنا إلى الجرد المغطى بالديدان بنظرة الله إلى الخطيئة؟ حسنا، إن محاولة إرضاء الرب بحفظ الوصايا، تشبه رش العطر على الجرد المتعفن - إن ذلك لا يجعل الجرد أكثر قبولا. لا يزال الجرد عفنا. وبنفس الطريقة، فإن حفظ الوصايا العشر لا يجعلنا مقبولين بصورة أفضل من قبل الله. لأننا لا نزال خطاة.

وهذا يرجعنا إلى السبب في نزول الوصايا العشر. لقد أعطى الله الناموس...

حتى أن الخطيئة صارت خاطئة للغاية بالوصية

الرسالة إلى أهل روما 7: 13

يريدنا الله أن نرى كل الخطايا الكبيرة والصغيرة بالطريقة التي يراها هو. إنها مدمرة ومهينة بشكل كبير، ومكروهة بالكامل، ومخيفة وشريرة وقذرة. يريدنا أن ندرك أن نفاء الله يتجاوز كثيرا البر الذي يمكن أن نحققه بصورة منفردة. يريدنا أن نفهم بأن خيرنا في أفضل الأوقات، لا يساوي قداسته ولا يقترب من ذلك.

الهوة

يستطيع الإنسان حتى الآن، أن يتفاخر بأن الله قد أحبه أكثر من كل شيء آخر، لأنه يظن بأنه أفضل. ولكن الله أراد من خلال إعطاء الناموس أن يدرك كل واحد منا ...
بالتأكيد كنت خاطئا عند مولدي وخاطئا منذ الوقت الذي حبلت بي أمي.

مزمور 51: 5

ولم يعد الإنسان الآن يعرف حالة الخطيئة الحقيقية فقط، وإنما يعرف أيضا إن الرب كامل. كانت قداسة الله - بره - أبعد من متناول الإنسان، ولا يمكن الوصول إليها. إن الهوة التي تسببت بها الخطيئة كانت أوسع مما توقعه الإنسان. ولا أحد يستطيع حفظ الوصايا بشكل كامل، ولذلك لن يستطيع الناموس غلق الفجوة.

مجموعتان

إن رد فعل بني إسرائيل بعد القراءة الأولى للوصايا العشر، يعكس بلا شك تفكير العديد من الناس اليوم. ويقول الكتاب المقدس أن جميع بني إسرائيل ارتجفوا من الخوف، ولكن الأغلبية الساحقة كانت فزعة من الرعد والبرق فقط. لقد انشغلوا بالأمر الخارجية، وذعروا من المظهر الهائل للقوة، وفاتهم ما يتعلق بالوصايا العشر، إذ شعروا باستطاعتهم إطاعة هذه القواعد. وهكذا يفعل الكثير من الناس اليوم. إنهم يركزون على طاعة الوصايا ولا يدركون الهدف الذي تسعى إليه.

وكان هناك جماعة أخرى من بني إسرائيل، قد أدركت بر الله بصورة عميقة. إذ عرفوا قصد الله عندما قال إن القداسة عكس الخطيئة. شعروا بالخوف أيضا ولكن لسبب آخر. أدركوا إنهم لن يستطيعوا المحافظة على هذه المجموعة من الوصايا بشكل كامل.

ومهما كان السبب، يقول الكتاب المقدس بأن بني إسرائيل ارتجفوا.

وقالوا لموسى كلمنا أنت فنسمع ولا يكلمنا الله لئلا نموت

سفر الخروج 20: 19

وقال الرب لموسى: اصعد إلي الجبل وأقم هنا حتى أعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم

سفر الخروج 24: 12

كانت الوصايا العشر سارية المفعول، وكان بنو إسرائيل يحاسبون على إتباعها كمياري أخلاقي. وعرف الصادقون مع أنفسهم، إن عليهم أن يأتوا من طريق آخر، إذا كانوا يريدون قبول الله.

الاقتراحات العشرة؟

يطلق على الوصايا العشر في بعض الأحيان الناموس الأخلاقي، لأنها تهتم بالسلوك الأخلاقي والأدبي. وإذا كان الناموس الأخلاقي لا يستطيع إصلاح العلاقة المقطوعة مع الله، فهذا لا يعني انه بدون فائدة. وكما تخلق القوانين الفيزيائية النظام في الكون، تخلق القوانين الروحية النظام في الأمة. رفض العديد من البلدان القانون الأخلاقي للكتاب المقدس، وجازفوا بالعيش في مجتمع محايد أخلاقياً. ولا وجود لمثل هذا المجتمع في الواقع، إذ لم يعد هناك وجود لمثل هذه الحضارة. والواقع إن عدم اتخاذ موقف هو موقف في حد ذاته. أدري رفض الأشياء المطلقة في الكتاب المقدس، الى الجفاء حيال الخطأ، وأصبح كل جيل أكثر راحة في العيش مع الخطيئة. ويعلمنا الكتاب المقدس بأن هذا سيؤدي الى الفوضى في النهاية.

من أي نوع أنت؟

يوافق معظم الناس بأنهم خطاة. ويقر القليلون منهم بسرعة بأنهم خطاة لا حول ولا قوة لهم. ويوجد فرق كبير هنا.

*يعتقد الخطاة بوجود ما يستطيعون القيام به لجعل أنفسهم مقبولين لدى الله. يمكن أن يؤمنوا بأن الله يريد منهم حفظ الوصايا العشر، أو أنه سيكون مسرورا منهم إذا حضروا الاجتماعات الدينية وشاركوا بالصلاة الخالصة والصوم والحج وإعطاء الصدقة واللف مع جيرانهم.

إن الفكرة التي تقول: إذا زاد صلاح الشخص على شره، تجله يستحق قبول الله، فكرة غريبة بالكامل عن الكتاب المقدس. إن فعل الخير أمر يستحق المديح، ولكن الكتاب المقدس يعلمنا بأن لا شيء من هذه الأفعال يصلح العلاقة المبتورة مع الله. لدينا مشكلة عميقة لا نستطيع أن نتخلص منها - إنها حالة الخطيئة.

*وفي المقابل، يعرف الخاطئ الذي لا حول له، أنه لا يستطيع أن يجعل نفسه مقبولا لدى الله. لا يستطيع أن يتخلص من ذلك الجرد الميت للخطيئة الذي يفسد حياته. ويقول الكتاب المقدس بأننا مساكين تماما: وكنا كنا كالنفس و برنا كله كثوب الطامث، وكلنا ذبلنا كالورق وأثامنا كالريح ذهبت بنا.

سفر إشعيا 64: 6

و يبقى صلاحنا ناقصا بالنسبة لقداسة الله. ويستطيع المرء لتوضيح الصورة أن يقول: تشبه أعمالنا في البر الجرد القدر، وكما أن الجرد كريبه لنا، فكذلك الخطيئة كريبه الله النقي والقدوس.

الفصل التاسع

- 1- خيمة الاجتماع.
- 2- عدم الإيمان.
- 3- قضاة وملوك وأنبياء.

1- خيمة الاجتماع

كان هناك دون شك ، كما ورد في الفصل السابق، قسم من بني إسرائيل يعتقد بأن الله سوف يقبلهم إذا حفظوا الوصايا العشر، ولكنهم اختاروا طريقة غير حكيمة قادتهم إلى بريبة روحية. وكان هنالك آخرون على استعداد لإتباع طريق الله الوحيد للقبول مباشرة.

ولو نظرنا إلى الكتاب المقدس نظرة شاملة، وأخذنا نفكر برهة من الزمن بقصد الله، وسألنا إذا كان الله يعد خطة ترشد الإنسان لكي يكون صالحا وبارا؟ فما هي هذه الخطة؟ وما هي الخطوة الأولى التي يجب القيام بها؟

خطة الله

مثال: كان رجل يسبح عبر النهر، ووجد نفسه فجأة يندفع مع التيار الذي ينساب مسرعا. أخذ يتخبط صارخا يطلب المساعدة! وكانت تقف بالقرب من المكان مجموعة من الناس تراقب ما يجري، ولم يتمكن أحد من تقديم المساعدة لهذا الرجل الغريق باستثناء سباح ماهر.

وحدث هؤلاء الذين يقفون على ضفة النهر هذا المنفذ على مساعدة الرجل الغريق، ولكنه لم يستجب لهم، بل وقف يراقب كالآخرين، حتى أصبح الصراع من أجل البقاء أكثر يأسا. وعندما أصبح الرجل منهكا تماما، قفز السباح إلى الماء وسحب الغريق إلى الشاطئ.

وعندما انتقد الناس المنقذ، لأنه انتظر طويلا قبل أن يقدم مساعدته، قال لهم: "لم يكن هذا الرجل الغريق يسمح لي أبدا بتقديم المساعدة له، لأنه كان يشعر بأنه يمتلك القوة. فانا أستطيع تقديم مساعدتي عندما يتخلى هو بنفسه عن مساعدة نفسه(1).

نتيجة: إن الخطوة الأولى للاقتراب من الله، هي أن تدرك أولا بأنك خاطئ ومسكين، وغير قادر على تخليص نفسك من النتائج الأبدية للخطيئة.

لو عرض الله درسه بهذه الطريقة، لسمعت بني إسرائيل يصرخون بإحباط: "يا رب، لقد أوضحت لنا ذلك. ونحن نعلم به".

ويمكن الافتراض بأن الله سوف يجيب: "نعم، أنا اعرف، ولكني أريد منكم أن تفهموا هذا بصورة محددة. إن الخطوة الأولى لقبولكم، هي الاعتراف أولا بأنكم خطاة. وأستطيع أن أنقذ هؤلاء الذين فشلوا في محاولة تخليص أنفسهم فقط."

يمكن أن يكون الدرس المذكور أعلاه خياليا، ولكن التطبيق العملي حقيقي. انه الشيء الذي يعلمه الكتاب المقدس. ولنذهب الآن خطوة أخرى:

وكلم الرب موسى قائلا: مر بني إسرائيل أن يأخذوا لي تقدمة من عند كل إنسان ما تسخو به نفسه تأخذونه تقدمة لي. فيصنعون لي مقدسا فأسكن فيما بينهم.

سفر الخروج 25: 8، 2، 3

مقدس

كان على بني إسرائيل أن يقوموا ببناء مكان مقدس يدعى الخيمة، حيث يستطيع الله أن يسكن بينهم. ولم يطلب الله ذلك لأنه كان بحاجة إلى بيت، وإنما أراد الله أن يخلق وسيلة إيضاح مرئية واضحة جدا. وسنتمكن من خلال دراستنا من فهم معناها الكامل بصورة تدريجية. ويحتاج شرحها إلى عدة صفحات، لذلك أرجو أن تكون صبوراً وان لا تنتقل مباشرة إلى الفصل التالي. إنها جزء هام من القصة.

طلب الله في بداية الأمر من الناس تقديم مساهمات تطوعية لمشروع البناء. وأراد من الناس أن يقوموا بالعطاء بشكل طوعي صادق. لم تكن هنالك مناشدة أو إكراه. وترك الأمر لكل شخص لكي يعطي ما يشاء. ولكن الله أوضح شيئا واحدا.

بحسب جميع ما أنا مريك من شكل المسكن وشكل جميع آنيته، كذلك فاصنعوا.

سفر الخروج 25: 9

التصميم الأساسي

كان يمكن تفكيك المسكن ونقله، وكان للقسم الذي يشبه الخيمة جدران صلبة وغطاء للسقف يشبه السجاد. وانقسم المكان إلى قسمين: كان الجزء الأول منه يمثل غرفة تسمى قدس الأقداس، وهي تشكل ثلث المسكن وأقدس مكان فيه، وكان الباقي يشكل بقية المكان المقدس. وكان يفصل بين المكانين ستار ثقيل يسمى أحيانا بالحجاب.

ويكون الحجاب لكم فاصلا بين المقدس عن قدس الأقداس

سفر الخروج 26: 33

تم بناء المسكن مع ساحة خارجية، يحيط بها سياج يرتفع سبعة أقدام (متران) . وكان يتم الوصول إلى المجمع الكامل من خلال باب واحد. وكانت تتواجد هناك سبع قطع أساسية من الأثاث داخل الخيمة وفي الساحة الخارجية(2).

الساحة

المذبح البرونزي: كانت هذه القطعة الأولى من الأثاث داخل بوابة الساحة. وكان المذبح كبيرا مصنوعا من الخشب المغطى بالبرونز، وله أربعة قرون على الزوايا.
الحوض: كان هذا الوعاء البرونزي الكبير يقع في منتصف الطريق بين المذبح البرونزي والمكان المقدس. وكان مليئا بالماء، ويستعمل للاغتسال في الاحتفالات، ويدل على أن الإنسان يجب أن يكون نقيًا عندما يقترب من الله.

المكان المقدس

3- الشمعدان: لم يحدد الله حجم الشمعدان، ولكننا نعرف شكله. إذ له عمود رئيسي سبعة أذرع. ولأنه كان مصنوعا من الذهب الخالص فقد كان حجمه صغيرا.
4- المائدة مع الخبز: يوضع على هذه الطاولة الخاصة اثنا عشر رغيفا من الخبز، يمثل كل واحد منها احد أسباط بني إسرائيل.
5- مذبح البخور: يقع هذا المذبح المربع أمام الحجاب الذي يفصل بين قدس الأقداس والمكان المقدس. وكان البخور يقدم عليه، بينما كان يتجمع بنو إسرائيل في الخارج للصلاة. وكانت رائحة البخور الصاعدة في الجو ترمز إلى الصلوات الصاعدة إلى الله.

قدس الأقداس

6- تابوت العهد: كان هذا الصندوق الخشبي الصغير المغطى بالذهب الخالص قد صمم للعمل كوعاء محكم. ويوضع فيه شينان مألوفان لنا: لوحان كتبت عليهما الوصايا العشر ووعاء يحتوي على عينة من الخبز الذي كان الله يزودهم به في البرية. وكان للتابوت قضبان طويلة من كل جانب لكي يحمل بها.
7- غطاء الكفارة: كان لتابوت العهد غطاء ذهبي دقيق يحتوي على ملاكين مبسوطي الجناح.
كان التابوت وغطاء الكفارة هما قطعنا الأثاث الوحيدتان الموضوعتان في قدس الأقداس. قال الله... فاجتمع بك هناك وأخاطبك من فوق الغشاء من بين الكروبيين اللذين على تابوت الشهادة بجميع ما أوصيك به إلى بني إسرائيل.

سفر الخروج 25: 22

الكهنة

وقرب إليك هرون وأخاك وبنيه معه من بين بني إسرائيل ليكونوا لي كهنة

سفر الخروج 28: 1

أمر الله موسى أن يعين هرون وبنيه كهنة في المسكن. وان يكون هرون كبير الكهنة. وفصل الله هؤلاء الرجال عن الآخرين، ليس لأنهم كانوا مميزين عن غيرهم، وإنما لكي يحترم الناس قداسته. لم يقبل الله بوجود جماعة غير منظمة للاهتمام بالمسكن، فتم تدريب الكهنة بشكل خاص لتنفيذ تعليمات الله، ولحراسة المكان والاهتمام به، في حين تنقل بنو إسرائيل البدو من مكان إلى آخر.

كامل

انتهى البناء الكامل بعد تسعة أشهر من وصول بني إسرائيل إلى جبل سيناء.
فنظر موسى جميع العمل فإذا هم قد صنعوه على وفق أمر الرب .

سفر الخروج 39: 43

فكان انه في الشهر الأول من السنة الثانية في اليوم الأول من الشهر نصب المسكن.

سفر الخروج 40: 17

وعندما تم إنشاء المسكن، استقر الغمام الذي قاد بني إسرائيل فوق قدس الأقداس. وكان يدل على وجود الله وسط شعبه.

ثم غطي الغمام خباء المحضر... فلم يستطع موسى أن يدخل خباء المحضر لان الغمام كان حالا عليه ومجد الرب قد ملاً المسكن.

سفر الخروج 40: 34، 35

تنفيذ وسيلة الإيضاح المرئية

وبعد أن تم بناء المسكن في المكان المطلوب، حان الوقت لتنفيذ وسيلة الإيضاح المرئية الكبيرة التالية، قال الله لموسى:

خاطب بني إسرائيل وقل لهم أي إنسان منكم قرب قربانا للرب من البهائم فمن البقر والغنم يقربون قربانينهم.

سفر الأخبار 1: 2

كان الله يطلب من الإنسان أن يجهز ذبيحة من اجل المسكن، تكون... من القطيع..

سفر الأخبار 1: 3

ويمكن أن تكون من الغنم أو الماعز أو الثيران، ولا يمكن أن تكون من الحيوانات الأخرى مثل الخنزير أو الحصان أو الجمل.

وكان عليهم أن يقدموا حيوانا ... "نكرا...."

سفر الأخبار 1: 3

وكان يجب أن يكون "بلا عيب" ...

سفر الأخبار 1: 3

ويجب أن لا يكون به مرض أو عرج:

يقربه عند باب خباء المحضر يقربه للرضوان عنه أمام الرب

سفر الأخبار 1: 3

وكان يجب تقديم قربان داخل الساحة على المذبح البرونزي تماما، حيث يقر الشخص بأنه خاطئ مسكين. وهذه الخطوة الأولى من اجل الاقتراب من الله. وكان على الشخص الذي يجلب القربان..

أن يضع يده على رأس المحرقة فيرضى عنه تكفيرا عنه

سفر الأخبار 1: 4

وبوضع اليد على رأس القربان، يحدد الإنسان نفسه بالذبيحة. وتشير اليد على رأس القربان إلى انتقال خطيئة الفرد من الإنسان إلى الحيوان. ويحمل الحيوان في هذه الحالة خطيئة الإنسان، ولهذا كان عليه أن يموت، لان الموت هو عقوبة الخطيئة. يحز الإنسان الذي يقدم الذبيحة عنق الحيوان كإقرار نهائي بأن خطيئته هي التي تسببت في موت الحيوان، ويصبح موت البريء بديلا عن المذنب. ويقول الكتاب المقدس بأن الله قبل الذبيحة عنه.

لا بد أن هذا العمل كان مألوفا جدا لبني إسرائيل. ألم يأت جميع الذين آمنوا حقيقة بالله منذ أيام آدم وهابيل ونوح إلى الله بتقديم ذبائح الدم؟ لقد فعلوا ذلك حقا.

مخلص بار

كان الله مرة ثانية يذكر شعبه بأن الطريقة الوحيدة لقبولهم هي الإيمان بأنه...

اله بار ومخلص....

إشعيا 45: 21

وكان الناس بتقديمهم الذبيحة الحيوانية، يقدمون دليلا خارجيا على الثقة الداخلية بالله، ويظهرون أنهم قد آمنوا به. ولان الموت هو عقوبة الخطيئة فقد مثلت الذبيحة ما كان ضروريا ليتم غفران الخطيئة.

بدون سفك دم لا تكون هناك مغفرة.

الرسالة إلى العبرانيين 9: 22

لأن نفس الجسد هي في الدم، ولذلك جعلته لكم على المذبح ليكفر به عن نفوسكم لأن الدم يكفر عن النفس.

سفر الأخبار 17: 11

وعندما يرى الله موت الحيوان، يكون قانون الخطيئة والموت قد لبي بشكل عادل – دفعت ضريبة الموت بسبب الخطيئة. ولن يدين الله الإنسان على خطيئته، ولن تقع عليه تبعاتها الأبدية، وسيحترم الله ثقة الإنسان به، ويعد له ذلك برا، كما فعل مع إبراهيم. أمن إبراهيم بالله فحسب له ذلك برا.

الرسالة إلى أهل روما 4: 3

ولأن البر يأتي من الله، فقد زود الله الإنسان بالكمال الذي يحتاج إليه ليعيش في حضرته. لم يكن هنالك جديد في ذلك كله. كانت هذه هي الطريقة التي أتى بها هابيل ونوح وإبراهيم وكل الرجال الأبرار الآخرين عبر العصور إلى الله. وكان دم الحيوانات لا يستطيع أن يلغي بشكل دائم خطيئة الإنسان ودينه، لأن حياة الحيوان لا تعادل في قيمتها حياة الإنسان. ويعلمنا الكتاب المقدس بأن الذبائح من الحيوانات كانت... له ظل (وسيلة بصرية)... لا ذات الأشياء بعينها... لأنه لا يمكن أن دم الثيران والثيران يزيل الخطايا. الرسالة إلى العبرانيين 10: 1، 4

يوم الكفارة

كان الكهنة يقومون بواجباتهم ضمن مجمع المسكن بحرية كاملة باستثناء واحد. كان لا يسمح لهم من دخول قدس الأقداس على الإطلاق، لأنه المكان الذي يتواجد فيه الحضور الإلهي بصورة رمزية مع الإنسان. وكان على الإنسان الخاطئ أن لا يسترق النظر داخل الغرفة. كان الحجاب المعلق بين الغرفتين سميكا، ويحجب كل شيء عن العين الفضولية، ويحمي أقدس الأماكن. ولم يسمح لهارون كبير الكهنة بدخول قدس الأقداس إلا في عيد الكفارة (3). وأما الثاني فإنما يدخله الحبر وحده مرة في السنة، ولا يدخل إلا بالدم الذي يقربه عن نفسه وعن جهالات الشعب.

الرسالة إلى العبرانيين 9: 7

وأي انتهاك لهذا الأمر سينتج عنه الموت. وقال الرب لموسى مر هرون أخاك بأن لا يدخل القدس في كل وقت داخل الحجاب إلى أمام الغشاء الذي على التابوت لئلا يموت لأنني متجل في الغمام فوق الغشاء.

سفر الأخبار 16: 2

كانت مقدمة عيد الكفارة احتفالا سنويا، وتذكير مستمر بحاجة الإنسان إلى إخفاء خطيئته عن عين الله. وتكرر هذا الاحتفال في كل عام. ورغم أن الله لم يمكس بخطيئة الإنسان عليه، فإن دم الحيوانات لم يزل الخطيئة. كان الدم غطاء مؤقتا فقط. إن المسكن والأثاث والكهنة والأضاحي ويوم الكفارة - كانت كلها جزءا من وسيلة الإيضاح المرئية المفضلة لله. وقد ساعدت هذه الوسائل في شرح ما كان يخطئه الله من أجل البشرية.

2- عدم الإيمان

كان بنو إسرائيل يتعلمون كثيرا من الرب. وكان الله يزودهم بالطعام والماء بإخلاص. ويخبرنا الكتاب المقدس أن الله قد جعل أحييتهم متينة لا تهترئ. وكان لهم قانون أخلاقي يعيشون بموجبه. ورغم أن الالتزام بالوصايا العشر لم ينتج عنه قبول لدى الله، إلا انه أعطى معيارا للحياة الصحيحة ووحدة الأمة. فقد عرفوا الخير من الشر. اظهر الله محبته لهم بتزويدهم بطريقة تمكنهم من القبول - بالإيمان - كما دل على ذلك من خلال ذبيحة الدم. وقد تظن أن بني إسرائيل كانوا شاكرين ويشعرون بالامتنان للأبد لكل ما كان الرب يصنع لهم، إلا أن أفعالهم الخارجية لم تكن كذلك. فقد بدأوا بالتذمر مرة ثانية. ولكي لا نتخذ موقفا بيرر موقفنا، ونظن بأن بني إسرائيل وحدهم كانوا يتميزون بالعناد، يجب أن نتذكر بأننا من نفس اللحم والدم.

كان بنو إسرائيل يمثلون بعملهم الجنس البشري بأكمله، وقد أصبحوا أكثر معرفة بالله في كل عام، ولكن المعرفة التي اكتسبوها فرضت عليهم مسؤولية إضافية. يقول الكتاب المقدس ... وكل من أعطي كثيرا يطلب منه كثير ومن أودع كثيرا يطالب بأكثر.

لوقا 12: 48

وعرف بنو إسرائيل الآن عن الله أكثر من أية أمة أخرى على الأرض.

ثم رحلوا من جبل هور على طريق بحر القلزم ليدوروا من حول ارض آدم، فضجرت نفوس الشعب في الطريق ، وتكلم الشعب على الله وعلى موسى وقالوا: لماذا أصعدتنا من مصر لنموت في البرية، فانه ليس لنا خبز ولا ماء وقد سئمت نفوسنا هذا الطعام الخفيف!

سفر العدد 21: 4، 5

كانت هذه الاتهامات غير صحيحة، لأن الله كان يلبي حاجاتهم. وبدل أن يشكروا الرب لعنايته اليومية بهم، اتهموه بالإهمال، وتجاهلوا ناموسه، وقالوا الأكاذيب، ولم يكرموا اسمه. وكما رأينا سابقا، كانت لمخالفة القانون نتائج وتبعات. وكما ينتج الضرر الكبير نتيجة لتحدي قانون الله في الجاذبية، فان مخالفة ناموس الله الأخلاقي لها عواقبها أيضا. تغاضى الله مرارا عن الخطيئة وكان رحيمًا. لم يكن بنو إسرائيل مبتدئين في علاقتهم مع خالقهم ومالكهم، لقد تعلموا الكثير عن الله. إنهم يعرفون الآن الوصايا العشر، وتجعلهم هذه المعرفة عرضة للمحاسبة. لا يستطيع الله أن يتغاضى عن خطيئة الشعب: "انسوها.. سوف نتظاهر أنها لم تحدث أبدا". كلا، للخطيئة نتائجها دائما. وأرسل الرب حيات نارية، فلدغت الشعب ومات قوم كثيرون من إسرائيل.

سفر العدد 21: 6

قال الله منذ البداية بأن الخطيئة تؤدي إلى موت الإنسان الجسدي، وموت العلاقة والموت الأبدي. وتم الآن توضيح هذه الحقيقة بالصورة عندما مات العديد منهم.

أصبح بنو إسرائيل يائسين، وكانوا بلا حول ولا قوة، وأدركوا أن الله وحده يمكن أن ينقذهم من عقوبتهم.. فأقبل الشعب على موسى وقالوا قد خطئنا إذا تكلمنا على الرب وعلينا، فادع الرب أن يزيل عنا الحيات.

سفر العدد 21: 7

إن الله يهدف من خلال حكمه أن يحدث تغييرا في الاتجاه والتفكير. ويصف الكتاب المقدس هذا التغيير بالندم. ويستطيع الناس خلال حياتهم الأرضية أن يندموا، وسيكون الوقت متأخرا جدا لحدوث تغيير بعد الموت الجسدي، عندها يواجه الخاطئ الحكم في بحيرة النار. أدرك بنو إسرائيل أنهم قد اخطأوا، وشعروا بالندم وطلبوا من الله أن يخلصهم. أصبحوا يتقون بالله مرة ثانية. فتضرع موسى من اجل الشعب:

فقال الرب لموسى اصنع لك حية وارفعها على سارية، فكل من لدغ ينظر إليها يحيا. فصنع موسى حية من نحاس وجعلها على سارية، فكان أي إنسان لدغته حية ونظر إلى الحية النحاسية يحيا.

سفر العدد 21: 7-9

لم تكن الحية على السارية نوعا من الحيل المادية. كان الله ببساطة يعطي بني إسرائيل فرصة لإظهار إيمانهم به. إذا لدغ احد بني إسرائيل، كان عليه أن يلتفت وينظر إلى الحية النحاسية ليشفى. ويعبر الشخص بتلك النظرة عن إيمانه بالرب، وثقا بأنه صادق في كلمته.

دعنا نفترض أن احدهم قد لدغ ولم ينظر إلى الحية النحاسية. وبدلا من ذلك قال لجيرانه: "إن موسى المسن مختل عقليا في الواقع. إذا اعتقد أن النظر إلى تلك الحية السخيفة سوف يشفي عضة سامة. أنا لا أؤمن بذلك". سيموت مثل هذا الشخص، ليس بسبب لدغ الحية له فقط، وإنما بسبب عدم إيمانه بالله. يكرم الله الإيمان، ويحاكم عدم الإيمان. ومن الضروري أن نعرف أن الله يحملنا مسؤولية كل شيء نعرفه، ويحاسبنا على كل ما نقوم به.

بعد سنوات لاحقا حطم الملك حزقيا الحية النحاسية الأصلية التي صنعها موسى لان الشعب كان يعبدها وبذلك خالف وصية أخرى من الوصايا العشر.

انظر سفر الملوك الثاني 18: 4

الموت

يتكلم الكتاب المقدس عن الموت بثلاث طرق مختلفة:

- 1- موت الجسد (انفصال روح الإنسان عن جسده).
 - 2- موت العلاقة (انفصال روح الإنسان عن الله).
 - 3- موت الفرح المستقبلي (انفصال روح الإنسان عن الله للأبد)
- أجرة الخطيئة هي الموت
الرسالة إلى أهل روما 6: 23

3- قضاة وملوك وأنبياء

نأتي الآن إلى درس يوجز قرونا من الأحداث في بضعة صفحات فقط. ومن توجد لديه حساسية خاصة من دراسة التاريخ، عليه أن يكون واثقا بأن هذا الدرس مفيد، حتى ولو لم يفهمه. سوف نربط بين النصوص التي تحتاج إلى معرفتها، لكي نقدم فكرة حول الموضوع. وان مقارنة العناوين الموجودة في راس كل قسم في التشجير الزمني الموجود على الصفحات 212-215 قد يساعد في ذلك.

مضت أربعون سنة منذ أن غادر بنو إسرائيل مصر ودخلوا إلى ارض كنعان. مات موسى قبل أن يدخل البلاد الموعودة، وحل محله قائد قدير اسمه يشوع.

انقضت سنوات عدة بعد دخولهم إلى هذه الأرض، قبل أن يتمكن بنو إسرائيل من الاستيطان فيها بشكل كامل. قسمت الأرض حسب الأسباط، وكان كل سبط يعادل في الغالب شخصا واحدا من أبناء يعقوب (أو إسرائيل) الاثني عشر.

عصر القضاة

أمن بنو إسرائيل بالله لفترة من الوقت، ولكنهم بدأوا بعد ذلك ينحرفون عن الحق، وانتهى الأمر بهم إلى عبادة الأصنام. فعاقب الرب إسرائيل لعبادتهم آلهة كاذبة، وذلك بأن سمح لأمم أجنبية باحتياحهم، وإجبارهم على دفع الجزية وخدمتهم. وبعد مضي وقت قصير أخذ بنو إسرائيل يشعرون بالندم، ويصرخون إلى الله لكي يخلصهم من مضطهديهم. فبعث الله لهم قادة يدعون بالقضاة لتحرير بني إسرائيل من الغزاة الأجانب. وهكذا بدأت دورة استمرت ثلاثمائة عام تقريبا. ظهر خلالها خمسة عشر قاضيا.

واستخدم الله في العديد من الأوقات أمما أخرى لمعاقبة بني إسرائيل عندما آمنوا بإله كاذب، كما استخدم بني إسرائيل لمعاقبة أُمم مختلفة لكونها تشرك به. إن الله غير منحاز ولا تقصيل لديه. كان هو الأمر، ويريد أن يثق الناس من كل الأُمم به وحده.

عصر الملوك

كان بنو إسرائيل الأكثر حظا بين جميع أمم العالم، لان الله نفسه كان قائدهم وملكهم. ومر الوقت، وراقب بنو إسرائيل أمما أخرى، فرفضوا الله وطالبوا بملك بشري. ولبي الله طلبهم، ولكن الميل إلى الانحراف والثقة بالآلهة كاذبة بقي على حاله.

وكان لبني إسرائيل ملوك كثيرون، ولم يؤمن بالرب منهم ولم يطعه إلا عدد قليل. وبسبب هذا ، استمرت دورة السنوات السابقة، وأصبح لديهم الآن ملك بدلا من القاضي.

وبرز عدد من ملوكهم ، وكان داود أعظمهم وأكثرهم شهرة. وقد آمن داود بالله بعكس الكثيرين من الملوك الذين حكموا بني إسرائيل. وأمن بأن الله فقط يمكن أن يخلصه من نتائج الخطيئة. وسمي داود الرب "المخلص".

كان داود الملك نبيا عظيما، ألهمه الله أن يكتب النصوص المقدسة. اشتهر بالأنشيد التي كتبها في سفر المزامير، الذي يسبح الله فيه لمحبتته ورحمته. وكتب داود عن المخلص الموعود، وتعهد له الله، بأن يكون المسيح عليه السلام واحدا من أحفاده (4). كان داود الملك يطمح كثيرا إلى أن يستبدل المسكن المحمول ببناء دائم له نفس التصميم يدعى الهيكل. أراد أن يبنيه في القدس التي أصبحت عاصمة البلاد في عهده. ورغم أن داود هو الذي جمع مواد البناء، إلا أن سليمان ابنه هو الذي قام بإتمام هذه المهمة.

وعرف سليمان الملك بحكمته العظيمة أولاً، وبناء الهيكل ثانيا. وقد أقام هذا البناء على جبل موريا في القدس. ويمكن أن يكون قد أقيم في نفس الموقع الذي حاول فيه إبراهيم التضحية بابنه اسحق.

وانقسمت الأمة بعد موت سليمان إلى قسمين: احتفظت الأسباط العشرة الشمالية باسم إسرائيل، بينما أصبح السبط الجنوبيان شعب يهوذا! وكان هذا الانقسام هو الخطوة الأولى في ابتعادهم بصورة شبه دائمة عن الله. وقادت الأسباط الشمالية المسيرة، واستمر الناس من خلال أعمالهم في فعل ما قاله الرب، ولكن قلوبهم كانت بعيدة عنه. لقد فشلوا في أن يكونوا شهادة للعالم بطريقة ترضي الله.

الأنبياء

أرسل الله الأنبياء الذين بشروا ضد الأخلاق المنحرفة المنتشرة بين أبناء الشعب، وحذروهم من الحكم الآتي. ودوى صوت هؤلاء الأنبياء ضد بني إسرائيل، محذرين الأمة بأن الله سيدينهم بسبب أنانيتهم وتركيزهم على أنفسهم. لقد أصبحوا قساة القلوب على الغرباء، ولا يشعرون مع الضعفاء، ويأخذون ما ليس لهم. هكذا قال الرب: أني لأجل معاصي إسرائيل الثالث أو الأربع لا أرد، لأنهم باعوا الصديق بالفضة والمسكين بنعلين. وهم إنما يتبعون أن يغطي تراب الأرض رأس الفقراء، ويأوتون طريق البائسين، ويدخل الرجل وأبوه على صبيبة واحدة ليدنسا اسمي القدوس. ويضجعون على ثياب مرهونة بجانب كل مذبح، ويشربون خمر المغرمين في بيت إلههم.

سفر عاموس 2: 6-8

وقد حفز الله العديد من هؤلاء الأنبياء على كتابة النصوص المقدسة، وأعطى قسما منهم معلومات محددة عن المخلص الموعود الآتي. وبشكل عام لم يتقبل بنو إسرائيل أو ملوكهم الأنبياء استقبالا حسنا. كان هنالك سبب. فقد كان الأنبياء يبلغونهم رسالة كانوا لا يرغبون في سماعها. قال النبي إشعياء للشعب: فقال السيد: بما أن الشعب يتقرب إلى بفيه ويكرمني بشفتيه، وقلبه بعيد مني، وإنما مخافته لي وصية بشر تعلموها.

سفر اشعيا 29: 13

احتقرت الأغلبية رسالة الأنبياء، ورفضت الوثوق بالله. فعذبوا الأنبياء وقتلوه. وزاد من تعقيد الأمور، سيطرة عدد من الأنبياء الكذبة الذين كان يلهمهم الشيطان، على الواقع الروحي للناس. ورغم أن الله قد أعطى تعليمات واضحة من أجل التمييز بين الصواب والخطأ، كان المعلمون الكذبة أكثر شعبية، لأنهم كانوا يخبرون الناس ما يرغبون في سماعه. أرسل الله النبي ارميا ليحذرهم من الأنبياء الكذبة:

هكذا قال رب الجنود لا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين يتنبأون لكم ويخدعونكم. يتكلمون برؤيا قلوبهم لا عن فم الرب. يقولون للذين يهينونني قد تكلم الرب سلام يكون لكم... أني لم أرسل الأنبياء وها إنهم منطلقون ولم اكلمهم وها إنهم متنبئون. لو وقفوا في مجلسي وسمعوا شعبي كلامي لكانوا اردوهم عن طريقهم الشرير وعن شر أعمالهم.

سفر ارميا 23: 16، 17، 21، 22

تشتت إسرائيل

أرسل الله في النهاية حكمه، فغزا الآشوريون الأسباط العشر الشمالية سنة 722 ق.م. وأخذوهم أسرى، ولا يسجل الكتاب المقدس عودة منظمة لهؤلاء الناس إلى ارض كنعان.

قبيلة يهوذا في الأسر

استمر السبطان الجنوبيان في كيان سياسي متميز حتى عام 586 ق.م، عندما خرب البابليون (شعب المنطقة التي بني فيها برج بابل) القدس، وهدموا هيكل سليمان العظيم، واخذوا اليهود إلى المنفى. أثناء وجود قبيلة يهوذا في المنفى أطلق على أفرادها اسم اليهود، إشارة إلى كون معظمهم من سبط يهوذا. وبما أن الهيكل لم يعد مركزا للعبادة، ادخل اليهود الكنيس (الكلمة اليونانية لكلمة مجمع) كمكان للتفاعل الاجتماعي والتعليم ودراسة الكتاب المقدس.

استمر النفي سبعين عاما، وبدأ السبطان الجنوبيان في عام 536 ق.م. بالعودة بأعداد قليلة، والاستقرار في القدس والمناطق المحيطة بها، والتي احتلها سبط يهوذا في السابق. وأعيد بناء الهيكل رغم انه لم يكن بالعظمة التي عرف بها أيام سليمان الملك، وأعيد العمل بنظام الأضاحي.

تأثير اليونانيين

يتوقف سجل الكتاب المقدس حوالي عام 400 ق م، ويبقى صامتا لمدة أربعة قرون. ولكن التاريخ لم يتوقف. فقد اجتاح القائد اليوناني المعروف الاسكندر الكبير البلاد، وابتلع اليهود في تلك الحملة. واحضر مبعوثوه اللغة اليونانية التي أصبحت لغة التجارة، وانتشرت الحضارة الهيلينية وأصبحت رمزا هاميا للنفوذ والقوة خلال القرون التالية.

شجرة العائلة البشرية

من آدم إلى المسيح
آدم وحواء) (5) الأسماء المكتوبة بينط غامق تشير إلى
قائيل سلالة السيد المسيح عليه السلام)

هابيل

سيث

ابنوش

ماحاليل

انوخ

ميثوصالح

لامخ

نوح يافت

حام

سام

ارفاذ

سيلاح

ايير

بيلينغ

رعو

سيروخ

اناحور

تيراح—ابرام (ابراهيم) حتى عام 2100 ق م

حران- لوط - بن عامي - امم كثيرة

هاجر

ابراهيم اسماعيل

اسحق

يعقوب

رؤبين

ساره

سمعان

ناحور

لاوي موسى

ايوب

يهوذا ق م 1550

هارون/موسى

دان بيرز

نفتال حزري

رام جاد

اميناداب اشير

سلمون زبولون

راحاب يوسف

بوعاز بنيامين

بعوبيد

يس

داود/سليمان

حتى عام 1000 ق م

<u>ملوك اسرائيل</u>	<u>داود- سليمان</u>
هوشع	رحبعام
بيكاح	أبيا
شلوم	آسا
زخريا	يهوشافاط
يروبعام الثاني	يهورام
يهوحاز	امازيا
جيهو	الملكة اتاليا
يورام	يوآشر
اخزيا	امزيا
آحاب	عزيا
بنتي وعمري	يوتام
زمري	احاز
ايلاه	حزقيا
باشا	منسا
ثاجاب	آمون
يروبعام	يوسيا
	يوآحاز
الامبراطورية البيبلية والفارسية	يواكيم
حتى عام 500 ق م صدقيا	يواكيم شيعاتئيل

ملوك يهوذا * يواكيم - شيعاتئيل (الامبراطورية اليونانية والرومانية)

زوربابل
ابيعود
اياكيم
عازور
صادوق
أكيم
اليود
اليعازر
ماتان
يعقوب
يوسف

مريم عيسى المسيح - يوحنا المعمدان 30 م
الحواريون

بولس الرسول 50 م

الانبياء: هوسيا، يونان، اشعيا، ميخا، حزقيال، زخريا، ملاخي
القضاة: يشوع، اوتتيل، ايهود، شمغار، دبورا وبارك، جدعون
تولا، يفتاح، ازان، ايلان، ابدان، شمشون، ايلي، صموئيل.

الفصل العاشر

- 1- الملاك جبرائيل.
- 2- المسيح عليه السلام.
- 3- بين الحكماء.
- 4- النبي يحيى (يوحنا).

1- الملاك جبرائيل

أبقى الشيطان الإنسان في قبضة الموت لعدة قرون. وكافح الإنسان تحت عبء الخطيئة الكبير، وأمل واحد فقط يلوح في الأفق، وهو مجيء المخلص الموعود. وسمح الله من خلال رحمته بموت حيوان بريء بدل موت الإنسان، وكان ذلك دفعة مؤقتة عن الخطيئة. ومن أجل الحصول على حياة أبدية كاملة لا يستطيع دم الحيوانات أن يزيل الخطيئة – انه يخفيها لفترة من الوقت فقط. ويوضح الكتاب المقدس ذلك :
لأنه لا يمكن ان دم الثيران والثيران والثيروس يزيل الخطايا

الرسالة إلى العبرانيين 10: 4

ما الجواب عن ذلك؟ ربما كان احد الناس مستعدا للموت من اجل شخص آخر، ولكن هذا لا يعتبر حلا أيضاً. لا يستطيع الإنسان الخاطيء أن يخلص خاطئاً آخر.

يشبه الأمر قصة رجلين وقعا في حفرة كبيرة داخل منجم قديم. وبينما كانا يكافحان في الظلام داخل المستنقع وسط حفرة كبيرة، قال احدهما للآخر: "أخرجني من هذا المكان المرعب، إنني اغرق في هذا الوحل الكريه". فأجاب الرجل الآخر: "هل أنت مجنون؟ إنني اغرق أنا أيضاً! لا أستطيع أن أقدم لك المساعدة".
كان يستحيل على الخاطيء أن ينقذ خاطئاً آخر من هوة الخطيئة.

وكان لا بد من وجود احد يستطيع تقديم المساعدة . وإذا نظرنا على وجه الكرة الأرضية، فإننا لن نجد أحداً بلا خطيئة، سواء أكان نبياً أم كاهناً، فقد ولد كل إنسان من بدء الزمان كابن لآدم، وولد بطبيعة آدم الخاطئة (1). لم يستطع الإنسان أن يقوم بوظيفة المخلص، لان لديه عقوبة الخطيئة التي يجب أن يتعامل معها.

يحتاج الإنسان إلى من يخلصه من خارج الحفرة. يحتاج إلى شخص بلا خطيئة، يستطيع أن يخلص كل البشرية من مستنقع الخطيئة المخيف. ويثير هذا الأمر مجموعة من التساؤلات. أين سيد الله مثل هذا المخلص الذي لا يحمل الخطيئة؟ هل سيعطي الله هذه المهمة لملاك أو نبي؟ لم يكن الناس يعرفون شيئاً عن ذلك. ماذا سيعمل الله لكي يظهر بصورة جيدة من هو المسيح عليه السلام؟ وعندما يصل كيف سيعرفه الناس؟

أراد الله أولاً أن يعد العالم لهذا الحدث الوشيك، بإرسال رسول خاص لكي يعلن عنه. ولا يستطيع المرء إلا أن يتساءل إذا كانت الملائكة تعرف من سيكون هذا الرسول وحامل الأخبار الجيدة؟ هل سيكون واحداً منهم؟ وتسربت بعد ذلك أخبار مختلفة لها علاقة بهوية المخلص. ولا بد أن هذه الأخبار قد جعلت السماء تنتظر:

وكان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا... وامرأته من بنات هرون اسمها اليصابات. وكان كلاهما بارين أمام الله سائرين في جميع وصايا الرب وأحكامه بغير لوم. ولم يكن لهما ولد لان اليصابات كانت عاقراً، وكانا كلاهما قد تقدم في أيامهما. وبينما كان يكهون في نوبة فرقته أمام الله، أصابته القرعة على عادة الكهنوت أن يدخل هيكل الرب ويبخر. وكان كل جمهور الشعب يصلي خارجاً في وقت التبخير. فترأى له ملاك الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور. فاضطرب زكريا حين رآه ووقع عليه خوف. فقال له الملاك لا تخف يا زكريا فان طلبتك قد استجيبت وامرائك اليصابات ستلد ابناً فتمسيه يوحنا. ويكون لك فرح وابتهاج ويفرح كثيرون بمولده. لأنه يكون عظيماً أمام الرب... ويرد كثيرون من بني إسرائيل إلى الرب إلههم. وهو يتقدم أمام الرب.. ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى حكمة الأبرار ويعد للرب شعباً كاملاً.

لوقا 1: 5-17

اخبر الملاك زكريا أن ابنه يوحنا سيكون رسولا يعد الطريق للرب القادم. كان ذلك الخبر مفرحاً، ولكن النبأ السار الأخير جعل السماء كلها تتحرك. وقبل أن يحدث هذا بأربعمئة سنة كتب النبي ملاخي ...
هأنذا مرسل ملاكي فيهيئ الطريق أمامي وللوقت يأتي إلى هيكله السيد الذي تلتمسونه وملاك العهد الذي ترتضون به. ها انه أت قال رب الجنود.

ملاخي 3: 1

كانت النبوءة واضحة. ولا بد أن زكريا تعجب إذ لم يرها من قبل. لقد قال رب الجنود: "سوف أرسل ملاكي ليهيئ الطريق أمامي!" وقال الملاك إضافة لذلك بأن المرسل الذي سوف يهيئ الطريق سيكون ابن الكاهن – واسمه يوحنا.

اليصابات

عاد زكريا إلى بيته وهو يشعر بصعقة شديدة. وأوفى الله بوعده. وحدث الأمر تماماً كما قال الملاك:
ومن بعد تلك الأيام حبلت اليصابات امرأته. فاخترت خمسة أشهر قائلة. هكذا صنع بي الرب في الأيام التي نظر إلي فيها ليصرف عني العار بين الناس.

لوقا 1: 24، 25

إن السؤال الذي كان يقلق زكريا هو: كيف سيأتي رب الجنود إلى الأرض؟ هل سيأتي في عربة ذهبية تقودها سبع جياذ بيضاء؟ هل سيحاط بحشود من الملائكة التي تشع نورا لامعا؟ هل سيعزل الحكام الرومانيين - ويقذف بهيرودس عن عرشه؟ لم يقل الملاك شيئا عن ذلك.

مريم

ننتقل الآن إلى مشهد آخر يقوم فيه الملاك بزيارة أخرى إلى شابة اسمها مريم. أرسل الله في الشهر السادس الملاك جبرائيل إلى مدينة في الجليل تسمى الناصرة:

إلى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف من بيت داود، واسم العذراء مريم

لوقا 1: 25، 26

كان يوسف ومريم مخطوبين لبعضهما البعض حسب العادات الشرقية التقليدية . ويقول الكتاب المقدس إن كلا من يوسف ومريم كانا من السلالة المباشرة للملك داود الذي عاش قبل 1000 عام من ذلك الوقت: فلما دخل إليها الملاك قال السلام عليك يا ممثلة نعمة الرب معك، مباركة أنت في النساء. فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن يكون هذا السلام. فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم فانك قد نلت نعمة من عند الله وها أنت تحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع

لوقا 1: 28 - 31

ماذا؟ والآن جاء دور مريم لتصاب بالدهشة وتعجز عن الكلام. وعندما استطاعت أن تمالك نفسها وتحدثت، سألت سؤالا منطقيا جدا:

فقلت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لا اعرف رجلا. فأجاب الملاك وقال لها أن الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك ولذلك فالقدوس المولود منك يدعى ابن الله.

لوقا 1: 34-35

ستصبح مريم أما للمخلص، الذي وعد به إبراهيم ونسله عبر الأجيال! أصبحت القصة الآن واضحة، وعرفت مريم تفاصيل القصة الماضية بصورة مفصلة. كان الله قد وعد حواء في جنة عدن، بأن المخلص الموعود سيكون من نسلها. ولم تقل القصة نسلها مشيرة إلى الرجل والمرأة. وأصبح الوعد الآن على وشك أن يتحقق، وسيولد الطفل من عذراء، سيكون من نسلها هي فقط. لن يكون للطفل أب من البشر. وما بدا بأنه اختيار غير مهم للكلمات، أصبح يحمل الآن وزنا كبيرا! وكان لهذه الملاحظة عبر التاريخ معان كبيرة. لأن الطفل لم يحبل به بواسطة زرع الرجل، فلن يكون جزءا من سلالة آدم. لقد ورث جميع أحفاد آدم طبيعته الخاطئة! ولكن يسوع المسيح عليه السلام لن يكون ابنا لآدم، وإنما الله. ستكون له طبيعة الله السامي الجلال. ولا عجب أن الملاك أشار إلى الطفل بأنه القدوس. سيكون الطفل بلا خطيئة تماما كما ان الله بلا خطيئة. سيكون المسيح كاملا منذ أن تم الحبل به.

*انظر الصفحات 224 إلى 226 لشرح مصطلح "ابن الله"

وهكذا، لن يأتي رب الجنود بكل العظمة والفاخرة السماوية. وإنما سيصل إلى كوكب الأرض مثلما وصل جميع بني البشر، - كطفل! وقال الملاك لمريم...

وها إن اليصابات نسيبتك قد حبلت هي أيضاً بابن في شيخوختها وهذا الشهر هو السادس لتلك المدعوة عاقرا. لأنه ليس أمر غير ممكن لدى الله. فقالت مريم ها أنا امة الرب فليكن لي بحسب قولك. وانصرف الملاك من عندها.

لوقا 1: 36-38

عرفت مريم إن اليصابات كبيرة في السن لكي تلد طفلا. وبالتأكيد إذا كان يمكن أن تحبل اليصابات، فسيكون ممكنا تماما أن تلد امرأة عذراء. اختارت مريم أن تثق بالله.

يوحنا

وأما اليصابات فلما تم زمان وضعها ولدت ابنا.

لوقا 1: 57

ولد يوحنا تماما كما وعد الله. ويقول الكتاب المقدس بأن ذلك كان مناسبة عظيمة، ويجب أن تكون كذلك، لان الوصمة تلحق باللواتي لا يستطعن إنجاب الأطفال. وقد تأثر زكريا كثيرا بهذا الحدث، فانطلق لسانه وبدأ يتكلم وهو يبارك بحمد الله. وكان الذي يقوله في الواقع، رحلة مصغرة في تاريخ العالم، تظهر فيها مواعيد الله المتكررة

التي أعطاها عبر القرون- وخاصة الوعد بإرسال المخلص. تستطيع أن ترى زكريا الرجل الكبير السن، وهو يحمل الطفل عاليا ويحرق بعينيه ويقول:

وأنت أيها الصبي نبي العلي تدعى لأنك تسبق أمام وجه الرب لتعد طريقه...

لوقا 1: 76

سيكون يوحنا هو الرسول الذي يعلن عن وصول المخلص الموعود إلى العالم.

معنى اسم

يسجل الكتاب المقدس أقوال عدد من الأنبياء الذين عاشوا قبل ميلاد المسيح عليه السلام بوقت طويل، وسجلوا بدقة كبيرة أخبار مجيئه. وقد كتب اشعيا النبي قبل 700 عام من ميلاد المسيح يقول:
لأنه قد ولد لنا ولد أعطي لنا ابن فصارت الرئاسة على كتفه ودعي اسمه عجيبا مشيرا إليها جبارا أبا الأبد رئيس السلام. لنمو الرئاسة والسلام لا انقضاء له على عرش داود ومملكته ليقرأها ويوطدها بالإنصاف والعدل من الآن وإلى الأبد.

اشعيا 9: 6، 7 أ

يجب أن نلاحظ أن هذا الطفل يدعى إليها جبارا أبا الأبد - وهما اسمان لا يعينان شيئا إلا الله.
وكما رأينا سابقا فان الله أسماء كثيرة، ويصف كل منها جزءا من شخصيته. ونجد تناقضا مهما بين اسمين يستعملان للمسيح عليه السلام:
ابن الله: هذا لا يعني أن الله له ابن من امرأة. إن مصطلح ابن الله هو مجازي وليس له دلالات جسدية. وقد ورد هذا المعنى الاصطلاحي في أماكن متعددة من كلام الله. يشير الكتاب المقدس مثلا إلى:
يوسف ... الذي لقبه الرسل برنابا الذي تأويله ابن العزاء .

أعمال الرسل 4: 36

أعطي يوسف هذا الاسم ليس لان اسم أبيه كان العزاء، وإنما لان حياته تميزت بالعزاء الذي أعطاه للأخرين. ويظهر مثل آخر عندما يذكر الكتاب المقدس:
أبناء العصيان....

الرسالة إلى أهل افسس 5: 6

ويشير هذا إلى هؤلاء الذين هم عصاة بطبيعتهم.
وعندما يذكر الكتاب المقدس أن المسيح هو ابن الله، فهذا يعني أن له طبيعة كاملة مقدسة، بعكس الإنسان العادي الذي له طبيعة فاسدة، مثل طبيعة ابن آدم.
وهو ضياء مجده وصورة جوهره

الرسالة إلى العبرانيين 1: 3

كان هذا التحديد الإلهي واضحا جدا، بحيث أن المسيح عندما كان يشير لنفسه بأنه "ابن الله"، اتهم بالتجديف من قبل المسئولين من رجال الدين في عصره. وقد قالت الشياطين نفسها إن المسيح هو ابن الله.
فهم البعض مصطلح "ابن الله" على انه يعني وجود علاقة جنسية بين الله ومريم. وهذا كلام خاطيء. وتعتبر "كلمة الله" مثل هذا التفكير تجديفا، وهي لا تشير إلى هذا المعنى في أي مكان. ويقول لنا الكتاب المقدس بوضوح، إن مريم كانت عذراء حتى بعد ولادة المسيح عليه السلام. لم يتم الحمل بالمسيح من خلال اتحاد جسدي، وإنما من خلال معجزة. حل روح الله القدوس على مريم بطريقة خاصة، ليعطي القوة لجسمها لكي يفعل ما هو ليس طبيعيا - أن تلد طفلا بينما لا تزال عذراء.

وذهب آخرون إلى القول بأن مريم كانت أم المسيح، وهذا يعني أن مريم هي أم الله. ويشير هذا بالطبع أن لمريم طبيعة الآلهة. واعتقد البعض أن مريم هي ملكة السموات التي تزوجها الله ونتج عن ذلك ولادة المسيح. ويعتبر الكتاب المقدس مثل هذا التفسير تجديفا غلى ابعد الحدود. ولا يتم ذكر هذا الشيء في أي مكان من الكتاب المقدس. إن كلام الله واضح جدا حيال هذه القضية. كانت مريم امرأة من بني البشر، وكانت هي الوسيلة التي استعان بها الله من أجل الدخول إلى هذا العالم، وهي ليست أكثر من ذلك. كانت مريم نفسها خاطئة واعترفت بالحاجة إلى مخلص. قالت مريم:

تعظم نفسي الرب وتبتهج روعي بالله مخلصي

لوقا 1: 46، 47

لم تكن مريم الهة ولم تكن أم الله. كانت امرأة احتاجت إلى أن يكون الرب مخلصها، واستعان بها الرب في نفس الوقت لإتمام إرادته. وعندما نرى عبارة "ابن الله"، علينا أن ندرك أنها تعني في معظم الحالات، امتلاك طبيعة الله.

ابن الإنسان: لا يشير هذا المصطلح إلى أن للمسيح أب من البشر (كان يوسف زوج مريم وليس والد المسيح). واستعمل المسيح مصطلح ابن الإنسان في الإشارة لنفسه. وكان لهذا المصطلح جانبان: إعلان إنسانية المسيح: رغم انه لم يكن للمسيح أب من بني البشر، فقد اتخذ شكلا بشريا. عاش كما يعيش البشر وبلا خطيئة. وسوف نرى أهمية هذا الأمر عندما نتقدم في سرد قصتنا. أعلن هذا المصطلح هويته الحقيقية: أدرك دارسو الكتاب المقدس خلال قرون عديدة أن هذا المصطلح يشير إلى المسيح. واقتبس المسيح نفسه هؤلاء الأنبياء لكي يشير إلى انه قد أتم تحقيق إشاراتهم إلى المخلص الموعود. تأمل بما كتبه النبي دانيال قبل أكثر من خمسمائة سنة من ميلاد المسيح عليه السلام. ورأيت في رؤى الليل فإذا بمثل ابن البشر... وأوتي سلطانا ومجدا وملكا فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه

نبوءة دانيال 7: 13، 14

وكلما تقدمنا في دراسة الكتاب المقدس، نكتشف وندرك مغزى هذا المصطلح بصورة أكثر اتساعا.

مشترك

إن المصطلحين ابن الله وابن الإنسان هما اسمان من الأسماء العديدة المستعملة للمسيح. وعندما تمزج معا فإنها تجد تعبيرها في حقيقة أن الله...

تجلى في الجسد

الرسالة الأولى إلى تيموتاوس 163 :

لم يتوقف الله عن كونه "الله" عندما أصبح إنساناً. ولم يصبح خاطئاً عندما اتخذ شكل إنسان. كان لا يزال فائق القوة والمعرفة، ولا يزال كاملاً في البر. ويصعب علينا أن نفهم كيف استطاع أن يحصر نفسه في جسد بشري، وإن يكون كاملاً بجميع صفاته، وهذا هو ما يعلمه الكتاب المقدس. إن الله عظيم. ويتضح السبب من اختياره لهذه الطريقة فيما بعد.

2- المسيح عليه السلام

أما مولد المسيح فكان هكذا. لما خطبت مريم أمه ليوسف، وجدت قبل أن يجتمعا حبلى من الروح القدس. ولما كان يوسف رجلها صديقا، ولم يرد أن يشهرها هم بتخليتها سرا.

متى 1: 18، 19

كان فسخ الخطوبة حسب عادات تلك الأيام، يتطلب طلاقاً. تخيل برهة من الزمن كيف كان شعور يوسف. لا بد انه أصيب بالألم شديد. كانت مريم حبلى، ولم يكن الطفل طفله. سيؤدي كشف الحقيقة للجمهور إلى وصم مريم بما يجب أن تكون، امرأة زانية. إلا إذا كان كلام مريم المستحيل عن الملاك الذي ظهر لها صحيحاً. كلا، إن هذا الأمر ليس ممكناً. لا بد وان الفتاة المسكينة قد فقدت صوابها. أحبها يوسف ولكنه لم يستطع أن يتزوج من فتاة خدعته، وتحاول بوضوح أن تخفي ذلك بقصة خرقاء. وإنما لا نعرف حقيقة ما كان يفكر به يوسف، ولكننا نعرف انه قرر بأسى أن يطلقها بهدوء:

وفيما هو متفكر في ذلك لذا بملاك الرب تراءى له في الحلم قائلاً يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ امرأتك مريم فان المولود فيها إنما هو من الروح القدس. وستلد أبناء فتسميه يسوع لأنه هو الذي يخلص شعبه من خطاياهم. وكان هذا كله ليتم ما قيل من الرب بالنبى القائل ها إن العذراء تحبل وتلد أبناء ويدعى عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا.

متى 1: 20-23

لم يستطع يوسف أن يسمع هذا الأمر بوضوح أكثر. إن مريم لا تزال عذراء وستلد طفلاً! وسيكون اسم الطفل "يسوع" الذي يعني المنقذ أو المخلص. وسوف ينقذ الناس ويخلصهم من نتائج خطيئتهم. وقال الملاك إن اسما آخر من أسماء المسيح عليه السلام سيكون عمانوئيل الذي يعني الله معنا. سيكون هو الله الذي يعيش بالجسد البشري بين الناس.

كتب النبي اشعيا عن هذا الحدث قبل 700 عام يقول:

فذلك يؤتيكم السيد نفسه آية. ها إن العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل

اشعيا 7: 14

لا بد أن يوسف قد هب من السرير. لقد كان اشعيا على صواب! كان الأمر يحدث تماما كما قال الله انه سيحدث. ولكن ماذا سوف يفكر الآخرون؟ ليس مهما! كان يعرف شيئا واحدا فقط، وهو أن يؤمن بالله ويفعل مشيئته (2).

فلما نهض يوسف من النوم صنع كما أمره ملاك الرب. فأخذ امرأته. ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر

وسماه يسوع.

متى 1: 24، 25

الإحصاء:

وفي تلك الأيام صدر أمر من اوغسطس قيصر بأن يكتتب جميع المسكونة

لوقا 2: 1

احتاج قيصر إلى المال، وإذا حصل الرومان على إحصاء دقيق، تمكنوا من جمع ضرائب أكثر من الناس. ولا شك أن يوسف لم يكن سعيدا بهذا الأمر، فقد حان تقريبا زمن وضع زوجته. وربما لأنه يعمل نجارا، كان في تلك الفترة يعد الأمر لولادة الطفل: يصنع المهد ويعد بمساعدة القابلة المحلية مكانا نظيفا ومناسبا وأمنا لولادة الطفل. وأصبح عليه الآن أن يأخذ امرأته إلى بيت لحم، التي كانت قبل ألف سنة موطن الملك داود. إن قطع مسافة 70 ميلا (120 كلم) في هذه الرحلة مع زوجته التي يمكن أن تلد في أي لحظة، لم تكن فكرة محببة، خاصة وأن السفر سيكون فوق حمار أو سيرا على الأقدام. لماذا لم يتم الإحصاء في الناصرة في بلدة يوسف؟ كان هذا الأمر مربكا جدا. ولكن الرومان لم يعطوا الناس أي خيار. كان عليه أن يأخذ مريم إلى بيت لحم.

فانطلق الجميع ليكتتبوا كل واحد إلى مدينته. وصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة إلى مدينة داود التي تدعى بيت لحم، لأنه كان من بيت داود ومن عشيرته. ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى. وبينما كانا هناك تمت أيام ولادتها. ولدت ابنها البكر فلفته وأضجته في مذود لأنه لم يكن لهما موضع في المنزل.

لوقا 2: 3-7

وهكذا ولد المسيح عليه السلام في بيت لحم بعيدا عن منزل يوسف ومريم. كانت البلدة مزدحمة، وكان المكان الوحيد الذي استطاعا أن يجدا فيه مسكنا، إسطنبول حيوانات. وكان أول مهد للمسيح مذودا، وهو وعاء لإطعام الماشية. وبينما كان يوسف ينظر إلى امرأته، وجد أن كل ما خطط له لم يحدث كما أراد. بيت لحم! من بين جميع الأماكن! وفي إسطنبول عفن! ولكن بينما كان ينظر إلى الطفل، أحس بأن كل شيء كان صحيحا بشكل تام.

وسماه يسوع

متى 1: 25

الرعاة

وكان في تلك الناحية رعاة يبيتون في البادية يسهرون على رعيهم في هجعات الليل. وإذا بملك الرب قد وقف بهم ومجد الله أشرق حولهم فخافوا خوفا عظيما. فقال لهم الملاك لا تخافوا فهاأنذا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب. قد ولد لكم مخلص وهو المسيح الرب في مدينة داود. وهذه علامة لكم. إنكم تجدون طفلا ملفوفا مضجعا في مذود. وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي يسبحون الله ويقولون. المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام للناس الذين بهم المسرة.

لوقا 2: 8-14

كان الرعاة يهتمون برعي خرافهم كما كانوا يفعلون دائما. وكانت خراف قطعانهم تستعمل غالبا ذبائح في الهيكل في مدينة القدس، على بعد بضعة أميال فقط إلى الشمال من مدينة بيت لحم. وكانت الحياة تسير على هذه الصورة. ولكن حياتهم أصبحت الآن مختلفة تماما بعد ظهور الملائكة. وسأل الرعاة بعضهم البعض بدهشة وإثارة: "هل سمعت ما أنا سمعته؟ إن المسيح هو الرب!".

المسيح /المسيا

إن كلمة مسيح اليونانية هي نفس الكلمة العبرية مسيا. وتعني هذه الكلمة الشخص الممسوح. وكان اسم مسيا خلال قرون عديدة يطلق على المخلص الموعود.

وتقول الملائكة الآن أن الشخص الممسوح - المسيا/ المسيح - كان الرب (3). وكان مصطلح الرب في حد ذاته يستعمل من قبل الأنبياء القدماء للإشارة إلى المسيا. لقد أعلنت الملائكة للرعاة:

... ولد لكم مخلص، انه المسيح الرب

لوقا 2: 11

وكانت الملائكة في جوهر الأمر، تعلن ذلك نيابة عن الله...
أليس إياي أنا الرب فانه ليس آخر لا اله غيري عادل مخلص ليس سواي.

اشعيا 45: 21

وكان هناك مخلص واحد.

فلما انطلق الملائكة إلى السماء قال الرعاة بعضهم لبعض، لنمض إلى بيت لحم وننظر هذا الأمر الواقع الذي أعلمنا به الرب. وجاءوا مسرعين فوجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعا في المذود. فلما رأوه اخبروا بالكلام الذي قيل لهم عن الصبي...

لوقا 2: 15، 17

كان الرعاة من أبناء الشعب الفقراء، ولا يتوقع المرء عادة دعوتهم إلى ميلاد ملك. ولكن كان هنالك آخرون في الطريق جاءوا لرؤية المسيح عليه السلام.

المجوس = (الرجال الحكماء)

ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودم الملك، إذا مجوس قد اقبلوا من المشرق إلى اورشليم. قائلين أين المولود ملك اليهود. فانا رأينا نجمة في المشرق فوافينا لنسجد له.

متى 2: 1-2

كان المجوس خبراء في دراسة النجوم، وقد جاءوا من الجزيرة العربية أو من الشرق، وربما من بلاد فارس (إيران اليوم). ومن الواضح أنهم كانوا يدركون بصورة أكيدة ما يفعله الله في العالم، لأنهم سافروا مسافة كبيرة فوق الجبال والصحاري غير الآمنة، وتحملوا الكثير من المشاق والأعباء المادية من أجل مشاهدة الطفل الذي ولد حديثا. ويمكن أن يكون هؤلاء الرجال قد توقعوا زيارة ملك. وكان الملك الذي يجلس على العرش في اليهودية في هذا الوقت هو هيرودم الكبير، الذي كان دون شك، قد علم بوصول هذه الجماعة الهامة. ولم يكن بوسع الجنود الذين يحرسون حدود اليهودية التعرض لهم، لأنه لم يكن من المعقول التفكير بزيارتهم على أنها تهديد، لأنهم لم يكونوا بصحبة جيوش يقودونها. وكل ما كان لديهم هو السؤال الآتي: أين هو الملك الذي ولد حديثا؟ فلما سمع هيرودم الملك اضطرب هو وكل اورشليم معه.

متى 2: 3

هزّ هذا السؤال الوحيد هيرودم بصورة حقيقية. كان يمسك السلطة بقبضة حديدية متماسكة، ويحطم كل من يجرو أو يحاول أن ينتزعها منه. ولا شك أن المدينة كلها كانت قد اهتزت أيضا. وعرف عن هيرودم بأنه كان قاسيا مع مواطنيه، وخصوصا في ساعات غضبه. من يعرف ماذا يمكن أن يفعل؟ دعا هيرودم مستشاريه من رجال الدين. وجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب واستخبرهم أين يولد المسيح.

متى 2: 4

يستطيع المرء أن يتخيل الزعماء الدينيين وقد أصيبوا بالحيرة قليلا. منذ متى يظهر هيرودم اهتماما بالدين؟ لم يتوقعوا أسئلة حول المسيا. كان واضحا أن الذي أدركه المجوس حول هذا الحدث الهام الذي تم على الأرض، لم يدركه الزعماء اليهود. ولكن هيرودم لم يكن رجلا يمكن تجاهله، فلقد سأل السؤال التالي: أين يولد المسيح؟

النبوءة

تستطيع أن تتخيل كاتبنا منفعلا، ينفض الغبار عن مخطوط صغير. وقد اتحنى زملاؤه الحكماء على ورق البردي، يتفحصون النص الذي كتب عليه بعيون مثلهمة. كانوا يشعرون بالانزعاج قليلا، لأنهم أرادوا أن يفهم هيرودم، بأنهم لم يكونوا أولئك الذين تنبأوا بهذا. إن نبيا يدعى ميخا قد كتب عن الأمر قبل أكثر من 700 عام. ويشير إصبع مهتر إلى جزء ممزق تماما من الوثيقة. ويترفع هيرودم عن النظر إليها، ويقوم الكاتب بتسليك حنجرته الخشنة ويقرأ:

وأنت يا بيت لحم افراته، انك صغيرة في ألوف يهوذا، ولكن منك يخرج لي من يكون متسلطا على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل

ميخا 5: 2

كانت النبوءة محددة جدا. قالت انه يجب أن يولد الطفل في بيت لحم افراته. وهناك بلدتان تسميان بيت لحم، واحدة بالقرب من الناصرة والأخرى جنوب القدس في منطقة افراتا (4)، ولهذا فقد كان هذا التحديد مهما. ولو كان يوسف يعرف هذه المعلومات، لاكتشف السبب الحقيقي لرحلتها من الناصرة إلى بيت لحم. لقد كان تلك هي خطة الله. وكان الإحصاء الروماني وسيلة لكي يوصلهما إلى هناك. أراد هيرودس أن يعرف إذا كان النبي ميخا قد كتب أكثر من ذلك. لقد فعل! وقالت نبوءته بوضوح أن الذي يولد قد عاش منذ الأزل. ولا بد أن الشحوب قد علا وجه هيرودس. لا يمكن ذلك، لأن الله وحده أزلي فقط. ربما كان الكتبة يحاولون إثارة الفزع لديه عن قصد، والسيطرة عليه. ولكن لا بأس من مجاراتهم. سوف يبيّن لهم ما نوع العبادة التي ينتظرها الملوك الجدد. اخرج كهنته...

حينئذ دعا هيرودس المجوس سرا وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر. ثم أرسلهم إلى بيت لحم قائلا اذهبوا وابحثوا عن الصبي متحققين، وإذا وجدتموه فاخبروني لكي اذهب أنا أيضا واسجد له. فلما سمعوا هذا من الملك ذهبوا. فإذا النجم الذي كانوا رأوه في المشرق يتقدمهم، حتى جاء ووقف فوق الموضع الذي كان فيه الصبي. فلما رأوا النجم فرحوا فرحا عظيما جدا واتوا إلى البيت فوجدوا الصبي مع مريم أمه. فخرروا ساجدين له وفتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا من ذهب ولبان ومر (5)

متى 2: 7-11

واستمر الله في إرشاد هؤلاء الرجال:

ثم أوحى لهم في الحلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس، فرجعوا في طريق أخرى إلى بلادهم. ولما انصرفوا، لذا بملاك الرب تراءى ليوسف في الحلم قائلا: قم فخذ الصبي وأمّه واهرب إلى مصر، وكن هناك حتى أقول لك، فان هيرودس مزعم أن يطلب الصبي ليهلكه. فقام وأخذ الصبي وأمّه ليلا وانصرف إلى مصر. وكان هناك إلى وفاة هيرودس.

متى 2: 12-15

ويسجل التاريخ بشكل واضح، إن هيرودس بذل جهدا كبيرا لقتل المسيح عليه السلام، ولكن الطفل بقي آمنا في مصر. كانت تذكر مصر في القصص القديمة بأنها مكان الاضطهاد والعنف، لأن دينونة الله قد حلت عليها. وحدث الآن شيء مختلف. اختار الله مصر لكي يتم ذكرها بكرامة، مكانا قاد إليه مريم ويوسف ليجدا ملجأ للمسيح. أصبحت مصر مكان الأمان للعائلة المقدسة، بينما سكنت القسوة والظلم مع هيرودس في مملكته حيث خطط من أجل إحباط أهداف الله. فانعكست القصة الآن.

ومات هيرودس في نهاية الأمر، وعاد يوسف مع مريم ويسوع إلى الناصرة، حيث عمل يوسف نجارا. وكان الصبي ينمو ويتقوى ممثلنا حكمة وكانت نعمة الله عليه.

لوقا 2: 40

الكلمة

مقابل الحروف والمقاطع

رأينا عبر القرون إن الله قد كرم الذين آمنوا بكلمته المحكية. ولم يخبرنا الله عن نفسه فقط، وإنما اظهر نفسه إلينا بمجيئه إلى الأرض. يقول الكتاب المقدس إن المسيح عليه السلام هو كلمة الله الحية: في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله.

يوحنا 1:1

وإذا كان الأمر كما هو مقصود، تفهم العبارة بإبدال كلمة المسيح مكان الكلمة. وتحصل على المعنى الكامل للرسالة:

في البدء كان المسيح والمسيح كان عند الله وكان المسيح هو الله. وكان المسيح مع الله منذ البداية.

يوحنا 1:1 (إعادة صياغة)

وعندما يقول يوحنا أن المسيح كان مع الله فيجب أن لا يفهم هذا على انه يوجد إلهان. انظر إلى الأمر بهذه الطريقة:

يتكلم الله إلى الإنسان. وهو يتكلم من خلال كلمته. وعندما نتكلم فإننا لا نفكر على أساس أن كلماتنا منفصلة عن أنفسنا. لا نستطيع أن نفتح الدماغ ونقطع الجزء الذي يمثل "الكلمات". إن الكلمات هي أفكار محكية أو مكتوبة

وبطريقة ما غامضة. فكلماتنا وذواتنا شيء واحد. إذا انتقد شخص ما، ما أقوله أو اكتبه، فانه ينتقدي أنا، ولا ينتقد الحروف الموجودة على الصفحة، أو المقاطع التي تلفظ في الهواء. ومهما تحققه كلمتي، سواء سببت الفرح أو الإثارة لشخص ما، فان هذه الكلمات تتحدد بالكامل من خلالي أنا. أنا هو الذي سوف يبارك أو يلام بسببها. إن كلماتي وأنا شيء واحد. وبنفس الطريقة فان المسيح والله هما واحد. إن المسيح هو كلمة الله. في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله. كل به كَوْن وبغيره لم يَكُون شيء مما كون.... والكلمة صار جسدا وحل فينا...

يوحنا 1: 1-3، 14

3- بين الحكماء

رغم أن المسيح عليه السلام هو كلمة الله، فقد اختار أن يدخل إلى الجنس البشري بصورة طفل. ولا بد أن تربية هذا الطفل كانت تجربة كبيرة بالنسبة ليوسف ومريم. كان المسيح عليه السلام بلا خطيئة. وعندما كان صغيرا، لم يكن غير صبور أبدا، ولا يرد الكلام غاضبا، ولا يصاب بنوبة من العصبية. ورغم وجود قصص تتحدث عن السنوات التي نشأ فيها المسيح عليه السلام في الناصرة، فإنها لا تجد مرجعا لها في الكتاب المقدس. وتم تسجيل قصة واحدة فقط عندما كان المسيح في الثانية عشرة من عمره.

وكان أبواه يذهبان إلى أورشليم كل سنة في عيد الفصح. فلما بلغ اثنتي عشرة سنة صعدا إلى أورشليم كعادة العيد.

لوقا 2: 41، 42

ويصبح الطفل في سن البلوغ حسب الثقافة اليهودية، عضوا كاملا* في الطائفة الدينية. وبهذه الصفة كانت له جميع الامتيازات والمسؤوليات المعطاة لشباب.

* (يصبح الطفل ابن الميثاق، وهي عادة ما زالت موجودة في احتفال ال" بار متسفاه" الحالي).

وبينما كان يوسف ومريم في الرحلة المعتادة إلى أورشليم، كان بلوغ المسيح عليه السلام ليس بعيدا عن اذهانهما (6).

الرجوع إلى البيت

بعد انتهاء العيد، توجه الجميع إلى بيوتهم. ورغم إننا لا نعرف جميع تفاصيل الرحلة، فإننا نستطيع أن نتخيل تسلسل الأحداث. وربما سافر الناس من الناصرة معا لأجل الصحة والأمن المتبادل. ولما كان الأطفال يسببون بصورة بطيئة، فقد غادروا في الصباح الباكر مع النساء وبعض الرجال للحصول على وضع متقدم. وتأخر بقية الرجال من أجل القيام بزيارة أخيرة للمجمع، وينطلقون بعد ذلك من أجل اللحاق ببقية الجماعة وقت الغسق.

ولما تمت الأيام عند رجوعهما بقي الصبي يسوع في أورشليم وأبواه لا يعلمان. وإذ كانا يظنان انه مع الرفقة سافرا مسيرة يوم...

لوقا 2: 43-44

تستطيع أن تتصور مريم وهي تغادر عند شروق الشمس. ولم يكن المسيح عليه السلام في مرمى بصرها، ولكنها لم تفزع. كان المسيح في سن يتوقع منه أن يكون رجلا. لا بد انه قد تأخر مع الآخرين من أجل زيارة مجمع الهيكل. ولا شك انه كان مع يوسف. وعندما وردت في ذهنها هذه الفكرة، ابتسمت ابتسامة راضية. لقد كان شابا مدهشا! وكانت تشعر بالسرور لأنه اخذ وقتا إضافيا من أجل الاستماع إلى الرجال الحكماء في الهيكل.

وعندما حل الغسق، وصل يوسف إلى الموقع المحدد مسبقا مع بقية الرجال الآخرين. لقد امضوا يوما ممتعا مليئا بالمعرفة، وامضوا وقتا إضافيا يستمعون إلى الرجال الدارسين في الهيكل وهم يعلمون كلمة الله. وناقشوا التعاليم الدينية على الطريق، بينما كانوا يسرعون من أجل اللحاق بالنساء. وشعر يوسف بالأسف بصورة خاصة لان المسيح لم يبق معه. وبعد كل شيء فقد كان في عمر يتوقع منه أن يتحمل مسؤوليات الشباب. كان باستطاعته أن يتعلم الكثير، ولكنه ذهب مع المجموعة الأولى مع مريم وبقية الأطفال. يجب عليه أن يذكر المسيح بأنه يكبر. ولم يكن يذكره بهذا الأمر في الغالب. وهو لا يتذكر أبدا انه ذكر المسيح بأي شيء. ثم نظر فوجد مريم. وكان كلاهما يبتسم:

"هل كان يومك جيدا؟"

"نعم، عظيم!"

"هل استمتع المسيح؟"

"المسيح؟"

واخفت الابتسامات. "لقد ظننت!..."

"نعم، ولكنني ظننت!..."

وكانا يطلبانه عند الأقارب والمعارف، فلم يجداه فرجعا إلى أورشليم يطلبانه.

لوقا 44-45: 2

البحث

لا شك أن البحث كان مزعجا إلى درجة كبيرة. لقد بحثوا جميع الأمكنة التي يمكن أن يتواجد فيها الصبي. فتشوا القسم الذي تباع فيه الحلويات في السوق تفتيشا كاملا، وفتشوا مواقع البناء المحلية، لمعرفة إذا كان قد تأخر وهو يراقب أعمال البناء. واقتفى يوسف آثار أقدامه وهو يشعر باليأس. لقد كانت المرة الأخيرة التي شاهده فيها في الهيكل.

وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل جالسا فيما بين المعلمين يسمعونهم ويسألهم. وكان جميع الذين يسمعونهم مندهشين من فهمه وأجوبته.

لوقا 2: 46، 47

كان المسيح عليه السلام تماما في المكان الذي كان يجب أن يكون فيه، كان يعمل ما تمناه يوسف ومريم. كان هناك فرق واحد فقط. كان المسيح يقوم بالتعليم في الهيكل بدل أن يتعلم هو من الحكماء. لم يكن يلقي محاضرة - ولكن أسئلته النافذة ومعرفته العميقة وإجابته الشاملة، لم تكن دون أن تثير الملاحظة. وتعلق حكماء الهيكل حقا بكل كلمة تقوه بها. ويقول الكتاب المقدس إنهم كانوا مندهشين!

لم يعجز العلماء فقط عن الكلام، فقد بهت يوسف ومعه مريم، ولكنهما تنفسا الصعداء دون شك بعد ذلك، وتمكنا من العودة الى حالتهم الطبيعية.

فلما نظراه بهتا فقالت له أمه يا ابني لم صنعت بنا هكذا. ها أنا وأباك كنا نطلبك متوجعين.

لوقا 2: 48

فسألهم يسوع قائلا:

لماذا تطلبانني؟ ألم تعلمنا انه ينبغي لي أن أكون فيما هو لأبي.

لوقا 2: 49

تذكير لطيف

لم يكن هذا جوابا وقحا. كان المسيح عليه السلام يقول ببساطة، انه كان تماما في المكان الذي يجب أن يكون الطفل فيه - في البيت في منزل أبيه. ولكن ماذا عنى بأبيه؟ من هو الأب الذي كان يشير إليه؟ سوف نعرف المزيد عن هذا في القسم الثاني من هذا الكتاب. وكل ما تحتاج أن تعرفه الآن، إن المسيح عليه السلام قد استعمل هذه العبارة كتذكير لطيف لوالديه الأرضيين بطبيعته الحقيقية:

فلم يفهما الكلام الذي قاله لهما. ثم نزل معهما وأتى الناصرة وكان خاضعا لهما، وكانت أمه تحفظ ذلك الكلام كله في قلبها. وكان يسوع يتقدم في الحكمة والسن والنعمة عند الله والناس.

لوقا 2: 50-52

4- النبي يحيى (يوحنا)

لم يبدأ المسيح عليه السلام حياته رسميا حتى بلغ الثلاثين سنة من عمره. وكان يوحنا ابن زكريا قد بدأ يعد الطريق له، ويقول لكل من استمع له: أن المسيح قد أتى. وخلق هذا الأمر هزة في النفوس: في تلك الأيام أقبل يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية. ويقول توبوا فقد اقترب ملكوت السموات.

متى 3: 1، 2

كان يتم الإشارة إلى يوحنا بأنه المعمدان، لأنه كان يعمد الناس. لم يكن طقس العماد غريبا بين شعوب بلاد الشرق في تلك الأيام. كان العماد يحمل المعاني الكثيرة. ولكن الكثير من الغموض يحيط بهذه الكلمة اليوم.

التحديد

تدل كلمة المعمودية ضمنا على التحديد. وقد نشأ معنى مألوف لكلمة baptizo في صناعة المنسوجات اليونانية القديمة. فقد كان يجري أثناء عملية صبغة النسيج تغطيس قطعة قماش في وعاء الصبغ، حيث تأخذ قطعة القماش لون الصبغ. وكان يتم تحديد نوع القماش من خلال الصبغة.

عرف يوحنا بأن اليهود قد ضلوا عن الكتاب المقدس واعتقوا أفكار البشر. وقال إن عليهم أن يندموا ويعيدوا التفكير بطرق ضلالهم، والعودة إلى الله. لقد اظهر اليهود الذين تعمدوا أنهم قد وافقوا شخصيا على رسالته في التوبة: حينئذ كان يخرج إليه أهل أورشليم وكل اليهودية وجميع بقعة الأردن، فيتعمدون منه في الأردن معترفين بخطاياهم. ولما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته، قال لهم يا أولاد الأفاعي من دلکم على الهرب من السخط الآتي. أثمروا ثمرا يليق بالتوبة.

متى 3: 5-8

توبوا

عرف يوحنا إن بعض الذين يستمعون إليه كانوا من الفريسيين والصدوقيين. وتذكر بأن هؤلاء هم الذين أضافوا إلى كلمة الله وحذفوا منها. ولم تكن هاتان الطائفتان بحاجة لبعضهما، ولكنهما اشتركتا بالكبرياء والشعور بالتفوق على الآخرين. وقد سماهم يوحنا بالأفاعي، لأنهم طبقوا قواعد صارمة لا يطبقها الآخرون، في حين أنهم لم يمارسوا ما وعظوا به. وطلب منهم أن يتوبوا وان يغيروا أفكارهم.

معمودية المسيح

حينئذ أتى يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه. فكان يوحنا يمانعه قائلا أنا المحتاج أن اعتمد منك وأنت تأتي إلي؟

متى 3: 13، 14

كان يوحنا نبيا، ولكنه أدرك أن المسيح عليه السلام كان أكثر من نبي، وهو ليس بحاجة للتوبة لأنه كامل. وطلب يوحنا من المسيح أن يعمده لكي يتوب عن الخطيئة، لأنه يعرف أنه هو الذي يحتاج إلى أن يعمد وليس المسيح: فأجابه يسوع قائلا دع الآن، فهكذا ينبغي لنا أن نتم كل بر. حينئذ تركه.

متى 3: 15

ألحّ المسيح على يوحنا المعمدان لكي يقوم بتعميده، لأنه أراد أن يحدد نفسه برسالة يوحنا بالعيش بالبر، كما أراد أن يؤكد صحة هذه الرسالة: فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، فانفتحت له السماوات ورأى روح الله نازلا مثل حمامة وحالا عليه. وإذا صوت من السماء قائلا هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت.

متى 3: 16، 17

سننظر إلى هذه العدد بصورة مفصلة في الصفحات الآتية، ولكن دعنا الآن نتابع القصة.

حمل الله

وفي الغد رأى يوحنا يسوع مقبلا إليه فقال هوذا حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم. هذا هو الذي قلت عنه انه يأتي بعدي رجل قد جعل قبلي لأنه أقدم مني.

يوحنا 1: 29، 30

حدد يوحنا المسيح بأنه المخلص الموعود الذي سيجمل خطايا العالم. قال أن المسيح قد عاش قبله بصورة أبدية، وقال ...

وأنا عاينت وشهدت أن هذا هو ابن الله

يوحنا 1: 34

عندما كنت في إحدى المناسبات اشرح لزوجين شابيين مضمون الكتاب المقدس. قرأت هذه الآية: "هوذا حمل الله الذي يحمل خطايا العالم!" فدبت الحيوية في الزوجة! وقالت بصوت مليء بالحيوية والنشاط: "الحمل! الحمل! هل لهذا أي علاقة بكل الحملان التي نقرأ عنها في العهد القديم من الكتاب المقدس؟" قلت لها نعم، له علاقة... وعندما يحين الوقت ستجدين أن كل الأمور ستتنسجم معا وترتبط مع بعضها لتكون المعنى بشكل عجيب.

كان مجيء الله إلى الأرض خطوة أخرى في محاولة تعريف الإنسان بالله بشكل أفضل. وكانت خطوة هامة جدا. فكر بالأمر بهذه الطريقة: إذا رأيت جرافة تمهد طريقا، وصادفت أمامها بيتا للنمل. وتدرك في هذه اللحظة إن بيت النمل على وشك أن يتم تدميره. فما الذي في وسعك أن تفعل؟ إن الجواب الوحيد الذي يمكن أن يكون هو أن تتحول أنت إلى نملة وتقوم بتحذير النمل، بالطريقة التي يحذر فيها النمل بعضه بعضا عند وقوع الخطر الدائم. وهذا هو الحال مع الإنسان. ما هي أفضل طريقة يستطيع الله من خلالها الاتصال بنا لكي يصبح واحدا منا. يقول الكتاب المقدس إن المسيح كان عمانوئيل: وكان هذا كله ليتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: ها إن العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعى عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا.

متى 1: 22، 23

هل يتكلم الله مع نفسه؟

لقد لاحظنا ابتداء من الصفحات الأولى في الكتاب المقدس، طريقة غير عادية للأسلوب الذي يتكلم به الله، كما لو انه كان يتكلم مع نفسه. لقد قال الله مثلا عندما خلق الإنسان ...
لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا ...

سفر التكوين 1: 26

وعندما اخطأ آدم، نجد الله في محادثة ...

وقال الرب الإله: لقد أصبح الإنسان مثل واحد منا، يعرف الخير والشر.

سفر التكوين 3: 22

وعندما شنت الله أهل بابل، قال ...

هلم نهبط ونبلبل هناك لغتهم حتى لا يفهم بعضهم لغة بعض. فيددهم الرب ...

سفر التكوين 11: 7، 8

مع من كان الله يتكلم؟ إلى من تشير كلمة نحن وكلمة لنا؟

عندما تكلم الملاك مع مريم قال ...

إن الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك، ولذلك فالقدوس المولد منك يدعى ابن الله.

لوقا 1: 34، 35

نرى هنا أن كلمة الروح القدس، والعلي، وابن الله، قد ذكرت كلها في آية واحدة. نحن نعرف أن العلي هو الله. لقد قرأنا قبل قليل العديد من الآيات التي تقول أن المسيح هو اله جاء بجسد بشري. هل تشير هذه الإشارات إلى نفس الشيء؟ وماذا عن الروح القدس؟ ماذا يقول الكتاب المقدس؟ نأتي الآن إلى الآية التي قرأناها للتو: فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، فانفتحت له السماوات ورأى روح الله نازلا مثل حمامة وحالا عليه. وإذا صوت من السماء قائلا هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت.

متى 3: 16، 17

يوجد لدينا في هذه الآية ثلاثة كيانات: يسوع، روح الله، وصوت من السماء. هل هذا شيء مريب؟ يمكن أن يكون الأمر كذلك، إذا لم ندرك بعض المفاهيم الأساسية في الكتاب المقدس. وفيما يلي بعض الجوانب الأخرى في هذه الأحجية:

أولاً: نحن نعرف انه يوجد اله واحد فقط. ويتم التأكيد على هذا الأمر بشكل متكرر في الكتاب المقدس.

أجابه يسوع: اسمع، يا إسرائيل، إن الرب إلهنا هو رب واحد.

مرقس 12: 29

إن هذا الأمر واضح بشكل مقبول. ولكن توجد أشياء أخرى عن الله تخرج عن نطاق العقل، وهي تعقيدات لا تصدق، ويصعب علينا سبر غورها. إن مجمل مفهوم اله ابدي يصعب فهمه. وبنفس الصورة، إن محاولة التفكير باله موجود في كل مكان في نفس الوقت محيرة تماما. إن الحصول على تفسير كامل لهاتين الحقيقتين فقط، أمر يستحيل على عقولنا المحدودة. ونحن نواجه الآن وحيا عن الله يصعب علينا فهمه، ورغم ذلك فقد علمه الكتاب المقدس بوضوح. يكشف لنا الكتاب المقدس إلهنا هو في نفس الوقت الأب والابن والروح القدس - ثلاثة أشخاص أديين ومتساوين، ويؤلفون كيان الله. ويكون هؤلاء الأشخاص الثلاثة وحدة ثلاثية أو ثلوث، وهم في نفس الوقت الله الواحد والوحيد.

وكانت هنالك عبر السنوات محاولات متنوعة لشرح فكرة الثالوث:

1- البيضة: لكل بيضة قشرة وبياض وصفار، ثلاثة أجزاء متميزة ولكنها تكون بيضة واحدة فقط.
2- الأبعاد: يوجد لكل صندوق ارتفاع وعرض وطول، ورغم أنها ليست نفس الشيء فإنها لا تتفصل عن بعضها البعض.

3- الضرب: $1 = 1 \times 1 \times 1$

4- الشمس: تتكون من جرم سماوي مرئي وضوء غير مرئي وحرارة غير مرئية، وهي ثلاثة عناصر متميزة، ولكنها شمس واحدة.

ورغم أن هذه التوضيحات تقدم لنا مساعدة كبيرة، إلا أنها لا تزال عاجزة عن تقديم فهم كامل لنا. يجب أن نكون حريصين على أن لا نحاول جر الله إلى مستوى البشر، وان ننظر إليه كواحد منا. يقول الله إن جزءا من سبب عدم فهمنا له هو ...
لقد فكرتم إنني كنت تماما مثلكم ...

مزمور 50: 21

هنالك العديد من الأشياء التي لم ولن نفهمها، ولكننا قبلناها على علاتها. ما هي الكهرباء؟ لماذا لا تنساب على الأرض عند سحب الفيشة من الإبريز؟ لا أستطيع أن أرى الكهرباء. ماذا يعني أنها سوف تؤذيني إذا وضعت ملقطا صغيرا في منفذ الكهرباء؟ لا يعني جهلنا بحقيقة الكهرباء إنها ليست حقيقية أو أقل من ذلك.
ونعتد نحن اليوم بقدرتنا على فهم العالم من حولنا. إن الأشياء التي حيرت القديس عبر القرون، أصبحت مألوفة لنا. وعلينا أن نكون متواضعين. لأن جوانب عديدة من الكون الذي نعرفه لا تزال تحتوي على أسرار عظيمة. إن الناس الذي سيعيشون بعد 100 عام من الآن، سوف ينظرون إلينا عندما ينظرون إلى الوراء، كأشخاص يشبهون العميان لما سوف يعتبرونه واضحا. سوف يأتي وقت يكون فيه مفهوم الثالوث واضحا تماما.
وحتى إذا جاء ذلك اليوم بالفعل، علينا أن ندرك بأن قدرتنا المحدودة في المنطق لا توائم إلها غير محدود في عقولنا المحدودة. وكما يفهم بشكل صحيح، فإن الله كما يكشف عنه الكتاب المقدس هو اله يجعلنا نشعر بالدهشة.
فكر لبرهة: اله أزلي، عارف للجميع، موجود في كل مكان في نفس الوقت، خلق جميع الكون، ثالوث، واحد في ثلاثة أشخاص - الأب والابن والروح القدس - يتساوون جميعا في الشخصية والقدرة. إن هذا الأمر لا نستطيع سبر غوره! ورغم انه يصعب إدراك هذه المفاهيم، فإن الكتاب المقدس يقول إنها جميعا صحيحة.
إن كلمة الله بالذات هي بيان عن الثالوث. ويوجد في اللغة العبرية كما هو الحال في اللغة العربية مفرد (واحد) ومثنى (اثنان فقط) وجمع (ثلاثة أو أكثر) لأشكال الأسماء. وان كلمة الله في اللغة العبرية "الوهيم" هي جمع من الناحية النحوية، وتسمح بوجود ثلاثة ولكن لها معنى المفرد.
الخفايا للرب إلها والمعلنات لنا ...

سفر تثنية الإشتراع 29: 29